

معهد البحوث والدراسات العربية

حقيقة إسرائيل

محاضرات

ألقاها

اللواء الركن
محمود شيت خطاب

[على طلبة قسم البحوث والدراسات الفلسطينية]

١٩٦٧


م. سرمد حاتم شكر

هدية الى سيادة الأخ اللواء الركن صبيح رؤوف مع خالص تقديري واعتزازي

[signature]

المؤلف

١٩٦٨/٥/٢٠

حقيقة إسرائيل

بسم الله الرحمن الرحيم

« لا يُقَاتلونكم جميعاً إلا فى قرى محصّنة أو من وراء جُدُر ، بأسهم بينهم شديد » .

(القرآن الكريم)

الإهـــداء

إلى العائدين في كل مكان ، أهدي هذا الكتاب .

المؤلف

المقدمة

هذا الكتاب هو مختصر المحاضرات التي ألقيتها في معهد البحوث والدراسات العربية في الفترة من ١١ - ٢ - ١٩٦٧ إلى ٢٦ - ٢ - ١٩٦٧ ، اختصرتها من كتابي : (طريق النصر في معركة الثأر) الذي أخرجته للناس في أواخر عام ١٩٦٦ .

والناحية العسكرية هي البارزة في هذا الكتاب ، ومع ذلك لم أنس الناحية السياسية ، نظراً للارتباط الشديد بين القضايا العسكرية والقضايا السياسية .

ولعـــل ما ورد في هذا الكتاب ما يفيد تلامذة معهد البحوث والدراسات العربية والذين يحبون الاختصار الشديد .

أما الذين يريدون التفاصيل ، فسيجدونها في كتاب : طريق النصر في معركة الثأر .

والله أسأل أن يفيد بهـذه الصفحات ، ويجعل ما أكتب خالصاً لوجهه الكريم .

أسباب الهزيمة



السياسة العربية

— ١ —

أول أسباب هزيمة العرب فى فلسطين ، هو فشل السياسة العربية فى إفهام العالم بأجهزة إعلامها وبوسائلها الدبلوماسية ومن خلال المنظمات الدولية ، بحق العرب التاريخى والواقعى فى أرض فلسطين .

لقد كانت فلسطين للعرب قبل الإسلام ، وكانت القبائل العربية تسكنها ، وحين جاء الإسلام أنقذها من حكم الروم ، فليس من المعقول أن تحل مشكلة استيطان يهود وجمع شتاتهم بتشريد العرب .

هذه الحقائق البديهية ، لم تستطع السياسة العربية عام ١٩٤٨ وما قبلها إقناع الدول الاستعمارية بها ، فكانت أجهزة إعلام العرب تتخبط فى متاهات الخيال ، وكانت أصواتهم فى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن تبدو مبحوحة ، وكانت سفاراتهم فى الخارج كأنها متمرجة .

أما سياسة الصهاينة فكانت نشيطة غاية النشاط .

كما أن أكثر ساسة العرب عام ١٩٤٨ كانوا موالين للاستعمار الذى بذل جهده لخلق إسرائيل ، كما كانوا محرومين من روح (إرادة القتال) .

لقد ضرب أولئك الساسة جيوشهم التى كانت تحارب فى فلسطين عام ١٩٤٨ من الخلف ، بموالاتهم للاستعمار ، وبالتزامهم الشديد بمخططاته نصاً وروحاً .

— ٢ —

والسبب الثانى ، هو عدم إعداد الفلسطينيين تنظيماً وتسليحاً وتدريبا وتجهيزاً وقيادة لتحمل مسؤولياتهم الكاملة فى الدفاع عن وطنهم .

لقد كان الفلسطينيون مستعدين للتضحية والفداء ، وكانوا على درجة فائقة من الشجاعة والإقدام ، ولكن ليس بإمكان أى شعب كان فى ظروفهم يستطيع أن يفعل أكثر مما فعله عام ١٩٤٨ .

أما الصهاينة ، فقد أعدوا العدة الكاملة ، واستفادوا من كل دقيقة لإنجاز استحضاراتهم .

وكان الاستعمار مع الصهاينة ، وكان الاستعمار على العرب .

— ٣ —

والسبب الثالث ، هو عدم وجود حكومة لفلسطين ، تعد العدة وتأخذ الأهبة وتقود الفلسطينيين وتحل مشاكلهم وتسمع صوتهم إلى العالم ، وتنسق جهود الدول العربية لمعاونتها فى مهامها ، وتعد المقاتلين الفلسطينيين وتزودهم بالسلاح والعتاد ، وتنظم صفوفهم وتسهر على تدريبهم وتعد الخطط الضرورية للقتال .

لقد كانت مسؤولية كل ذلك ضائعة بين الدول العربية وبين التنظيمات الفلسطينية وبين جامعة الدول العربية ، وبين المؤتمرات والاجتماعات .

— ٤ —

والسبب الرابع ، هو عدم وجود قيادة عربية موحدة منبثقة منذ السلم وقبل فترة مناسبة لإعداد الخطط العسكرية المدبرة ، والعمل على توحيد

الجيوش العربية وتدريبها وتجهيزها وتسليحها وتنظيمها وإجراء التمارين (المناورات) المشتركة بينها نظرياً وعملياً لإبراز أهمية تعاونها ، وجمع المعلومات عن قوات الصهاينة مبكراً ، وتزويد الجيوش العربية بالخرائط العسكرية ، وعمل خطة إدارية لإمدادها بالسلاح والعتاد والأرزاق والنقلية ، واستكمال استحضاراتها منذ السلم لخوض معركة قد تطول .

وفى الحرب تكون هذه القيادة جاهزة لتطبيق خططها العسكرية المدبرة فى المكان والزمان المناسبين ، وتكون جاهزة فعلا لقيادة الجيوش العربية فى الميدان .

بذلك وحده يمكن أن تتعاون الجيوش العربية تعاوناً وثيقاً ، وبدون ذلك تقاتل الجيوش العربية إسرائيل منفردة لا مجتمعة ، كما حدث فعلا عام ١٩٤٨ .

— ٥ —

والسبب الخامس ، هو أن الجيوش العربية لم تكن جاهزة كما ينبغى للقتال .

لم يكن هناك قادة الجيوش العربية قبل وقت مبكر يعرفون أنهم سيحاربون فى فلسطين ، لإنجاز استعداداتهم لهذه الحرب .

لقد دخلت بعض الجيوش العربية فلسطين بأسلحة قديمة .

ودخلت بعضها بدون عتاد كاف .

ودخلت بعضها بدون دروع .

ودخلت بعضها بدون نقلية آلية .

ودخلت بعضها بدون إسناد جوى .

ودخلت بعضها بأسلحة وعتاد فاسدين .

والخلاصة أن الجيوش العربية لم تكن جاهزة للحرب .

— ٦ —

والسبب السادس ، هو عدم استفادة العرب من منابع ثرواتهم الطبيعية وطاقاتهم الاقتصادية للضغط على الدول التى تساند إسرائيل .

كان بإمكانهم قطع النفط عن تلك الدول ، وكان بإمكانهم مقاطعة تلك الدول اقتصادياً ، وكان بإمكانهم حرمان تلك الدول من مطاراتهم وممراتهم المائية .

ولكن ، كيف كان بإمكانهم أن يفعلوا شيئاً من ذلك ، وقاعدتا الحبانية والشعيبة فى العراق ، والجيوش البريطانية فى مصر ، ومناطق النفوذ لفرنسا فى لبنان ولبريطانيا فى الأردن ؟

— ٧ —

والسبب السابع ، هو فشل الحكومات العربية فى الإفادة من المتطوعين العرب خاصة والمسلمين عامة .

بل إن الحكومات العربية وضعت العراقيل والعقبات فى طريق التحاق هؤلاء المتطوعين بفلسطين .

كما لم يحسن اختيار المتقدمين للتطوع فى البلاد العربية ، فانخرط فى صفوف المتطوعين بعض الشذاذ والأفاكين .

وقد ترك هؤلاء آثاراً سيئة فى نفوس بعض الفلسطينيين لا تمحوها السنون والدهور .

ولم تكن أكثر قيادات المتطوعين (المحلية) بمستوى مسؤولياتها العسكرية ، وكانت أقل بكثير من مستوى المعدل المطلوب .

وأشهد أن كثيراً من المتطوعين كانوا مخلصين غاية الإخلاص وأن بعض قياداتهم (المحلية) كانت مخلصة وعلى درجة عظيمة من الكفاية والمقدرة . ولكن أكثر المخلصين من المتطوعين حوربوا حرباً لا هوادة فيها من بعض الجيوش العربية ، فانتزعت أسلحتهم وطوردوا وحرموا من كل معاونة مادية أو معنوية .

وكانت القيادة العامة للمتطوعين فى دمشق بعيدة عن ساحة القتال فى فلسطين ، لذلك لم تكن ذات تأثير فعلى على المتطوعين .

ولكن هذه القيادة كانت بدون شك مخلصة جداً .

حقيقة إسرائيل

عوامل قوة إسرائيل

— ١ —

ليست إسرائيل وحدها ، بل وراءها دول استعمارية قوية تصرح دائماً : أن إسرائيل ولدت لتعيش .

هذه الدول ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا تساند إسرائيل بكل إمكاناتها السياسية والاقتصادية والعلمية والعسكرية سراً وعلانية .

وكانت سياسة هذه الدولة وغيرها ولا تزال مع إسرائيل فى هيئة الأمم المتحدة وفى مجلس الأمن .

وهذه الدول لها علاقة اقتصادية متينة مع إسرائيل ، وليس سراً أن بعض ما تنتجه معامل إسرائيل يذهب إلى تلك الدول ويصدر منها إلى الشرق الأوسط وإلى إفريقية .

وليس سراً أن المعونات الاقتصادية التى تبذلها تلك الدول لإسرائيل ضخمة جداً ، كما أن للوكالة الصهيونية فروعاً فى تلك الدول تجمع المال الوفير لدعم اقتصاد إسرائيل .

وهذه الدول وغيرها تساند إسرائيل علمياً وتزودها بالخبرات العلمية بما فيها من صناعات الأسلحة الخفيفة والثقيلة ، والصواريخ والقنبلة الذرية .

كما أن هذه الدول وغيرها تساعد إسرائيل عسكرياً . احتضنت ضباط إسرائيل فى معاهدها العسكرية لتدريبهم على فنون الحرب ، وزودت

إسرائيل ولا تزال تزودها بالسلاح والعتاد ، وزودتها فرنسا بمواد صنع القنبلة الذرية كما ذكرت ذلك فرنسا بالذات .

ولعل قصة الاعتداء الثلاثى على الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٦ خير دليل على تعاون تلك الدول عسكرياً مع إسرائيل .

— ٢ —

ومن عوامل قوة إسرائيل الصهيونية العالمية التى تضم بين صفوفها وزراء وأعضاء فى مجلس الشيوخ الأمريكى وأعضاء فى مجالس النواب الأمريكى والبريطانى والفرنسى ، وعلماء وكتاباً وأدباء وشعراء وأطباء ومحامين وشخصيات كبيرة على شأن فى السياسة والاقتصاد والعلم والأدب والفن .

لقد عملت هذه الصهيونية العالمية لإسرائيل كثيراً ولا تزال تعمل لها ، وستبقى أقوى دعائمها .

تدعم الصهيونية العالمية إسرائيل سياسياً واقتصادياً ، وتدعمها بوسائل الإعلام لمختلف الدول الاستعمارية الكبرى ، وحتى لبعض الدول الناشئة كما هو الحال فى بعض الدول الأفريقية .

وهذه الصهيونية العالمية قد تغلغلت كالأخطبوط فى أعماق أعماق مجاهل العالم تنشر الدعاية لإسرائيل ، وتذيع الأكاذيب عن العرب .

— ٣ —

ومن عوامل قوة إسرائيل أجهزة إعلامها القوية .

لقد اشترت إسرائيل ضمائر كثير من الصحفيين وكثير من المذيعين بالمال الحرام .

وأنشأت كثيراً من الصحف ومحطات الإذاعة بأسماء مختلفة وتحت ستارات شتى فى دول كثيرة لترويج أباطيلها ومفترياتها .

وسخرت كل يهود العالم للدعاية لإسرائيل .

وسخرت كثيرون غير يهود بالمال أو بالجنس ، أو بكليهما معاً ، فصاروا طوع أجهزة إعلامها المقيت .

وهكذا قلبت الحقائق رأساً على عقب ، فأصبحت كثير من الأمم تعتقد أن إسرائيل هى حاملة مشعل الحضارة فى الشرق الأوسط ، وهى التى تقود مسيرة الحضارة العالمية فى مجاهل إفريقية السوداء .

— ٤ —

ومن عوامل قوتها وجود استخبارات (مباحث) قوية لها فى جميع أرجاء العالم ، ومن ضمنها الدول العربية .

ولعل محاكمات جواسيس إسرائيل فى قسم من الدول العربية ، أظهرت بوضوح مخططات إسرائيل الجهنمية لجمع المعلومات عن الدول العربية خاصة وعن الدول الأخرى عامة .

والدرس الذى يجب أن يتعلمه العرب هو : الكتمان . . . الكتمان . . . فيما نقول وفيما نكتب ، فقد يكون لحديث عابر أو لمقال فى صحيفة ما يؤدى إلى ضرر بالغ لسمعة الأمة العربية وبمصالحها .

إن إسرائيل حاذقة فى التجسس إلى أبعد الحدود .

— ٥ —

ومن عوامل قوة إسرائيل تصنيع بلادها .

فى إسرائيل صناعات محلية كثيرة ، فهى تكتفى ذاتياً بهذه الصناعات وتصدر منها إلى الخارج .

وقد سيطرت إسرائيل على كثير من أسواق الدول ، خاصة فى إفريقية وبعض الدول الآسيوية ، وفى أمريكا اللاتينية .

ولا تكاد تجد صحيفة أجنبية إلا وفيها إعلانات عن صناعات إسرائيل .

حتى الدول التى تقاطع إسرائيل اقتصادياً وسياسياً استطاعت إسرائيل أن تهرب بعض صادراتها إلى أسواق تلك الدول .

وإسرائيل قد أنشأت بعض الصناعات بأسماء شتى فى بعض الدول الأوربية والأمريكية ، ومن هنا تصدر هذه المصنوعات إلى جميع دول العالم على اعتبار أنها منتوجات فرنسية أو بريطانية أو أمريكية .

إن المعامل فى إسرائيل ، تملأ ساحات كبيرة من بلادها ، وهى فى كل يوم تنشىء مصانع جديدة .

ولكن الذى يهمنا هنا ، هو صناعة الأسلحة المختلفة فى إسرائيل .

لم يقتصر إنتاج إسرائيل الأسلحة والعتاد والمعدات ليكتفى جيشها ذاتياً بما تنتجه ، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك .

إنها تصدر الأسلحة إلى كثير من دول إفريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية .

ولقد احتكرت إسرائيل تزويد بعض الدول الإفريقية والآسيوية بالسلاح ، وقد زودت جيش (بورينو) بكل سلاحه وعتاده .

وإسرائيل ستصنع القنبلة الذرية كما سيأتى تفصيل ذلك فى الفصل القادم .

والخلاصة ، إن إسرائيل تتقدم بخطوات واسعة إلى الأمام فى طريق التصنيع .

— ٦ —

ومن عوامل قوة إسرائيل ، هيمنتها سراً وعلانية على المال فى العالم .

والمـال هو عصب الحرب .

أسهم المصارف العالمية أكثرها لليهود ، وأرجو ألا ينخدع الناس بادعاء يهود : أن يهوداً شئ ، وإسرائيل شئ آخر .

أموال يهود فى العالم تهرب علناً أو سراً إلى إسرائيل ، وقد كشفت بعض المحاكمات فى بعض الدول العربية حقيقة تهريب أموال يهود من تلك الدول إلى إسرائيل .

والتبرعات العلنية وحدها التى تتدفق من أنحاء العالم إلى إسرائيل ، تكون رصيداً ضخماً من المـال ينتقل سنوياً باستمرار إلى رصيد إسرائيل .

إن الذى يشك فى سيطرة إسرائيل على أكثر مال العالم واقتصاده ، لابد أن يكون مخدوعا مغفلا أو عميلا .

— ٧ —

ومن عوامل قوة إسرائيل ، وسائلها التخطيطية الدقيقة المتقنة .

كل شئ فى إسرائيل يسير حسب تخطيط عميق ودراسة شاملة وتنظيم دقيق وخطة مرسومة .

والارتجال من أى نوع بعيد عن إسرائيل . . .

والعاطفة من أى نوع بعيدة عن إسرائيل . . .

سياستها الخارجية وسياستها الداخلية ، وتصنيعها وتجارتها الخارجية ، وزراعتها واقتصادها تسير حسب تخطيط دقيق .

والإحصاءات الدقيقة المتجددة دوماً ، تعمل عملها المفيد فى دعم تخطيط إسرائيل ، إذ لا تخطيط بدون إحصاء دقيق .

وهيئات التخطيط فى إسرائيل ، تشغل أبرز مكان فى كل مؤسسة عامة أو خاصة .

وهذا ما جعل إسرائيل ناجحة غاية النجاح فى مشاريعها وأعمالها .

— ٨ —

ومن عوامل قوة إسرائيل جيش إسرائيل .

من ضباط إسرائيل من شهد الحرب العالمية الثانية مع الحلفاء ، وضباط إسرائيل كباراً وصغاراً يشهدون دورات التدريب العسكرى والأركان فى الدول الإستعمارية ويلتحقون بوحداتها العسكرية للتدريب على فنون القتال عملياً .

وجيش إسرائيل يتلقى آخر كتب ومحاضرات كليات الأركان ومدارس الضباط الأقدمين ومدارس الأسلحة المختلفة ومدارس التدريب الإدارى من البلاد الأجنبية .

وجيش إسرائيل وعصابات إسرائيل يتلقون تدريباً عالياً .

وجيش إسرائيل مسلح بأحدث الأسلحة ومجهز بأحسن التجهيزات .

وكل مستعمرة ، وكل قرية ، وكل مدينة أنشأت أو ستنشأ ، بحسب

حساب الدفاع عنها ، فتكون تلك المنشآت قلاعاً حصينة يمكن الدفاع عنها من كل الاتجاهات .

وهناك فى إسرائيل مواضع دفاعية مستحضرة سلفاً للدفاع المديد .

إن إسرائيل تمارس الحرب الاجتماعية ، أو الحرب الشاملة ، أو الحرب الاعتصابية ، كما يطلق عليها فى بعض الدول العربية ، وهى : حشد الطاقات المعنوية والمادية كافة من أجل الحرب .

هذه هى عوامل قوة جيش إسرائيل ، أما عوامل ضعفه فسيرد فى الحديث عن : عوامل ضعف إسرائيل .

عوامل ضعف إسرائيل

— ١ —

من عوامل ضعف إسرائيل كثرة الأحزاب فيها .

فى إسرائيل أنواع كثيرة من الأحزاب تبلغ سبعة عشر حزباً أو أكثر، بعضها أحزاب يمينية وبعضها يسارية وبعضها وسط .

وكل حزب من أحزاب إسرائيل فيه أجنحة وتكتلات داخل الحزب الواحد ، كما هو ظاهر فى حزب الأكثرية ، وهو حزب (الماباى) ، الذى انشق إلى قسمين : أحدهما يؤيد (بن غوريون) والثانى يؤيد خصومه .

وحكومة إسرائيل دائماً حكومة ائتلافية ، لأن أى حزب من أحزابها لا يستطيع أن يحوز على الأغلبية المطلقة فى (الكنيست) .

إن كثرة أحزاب إسرائيل وتناقض مبادئها وأهدافها ، عامل مهم من عوامل عدم الاستقرار فى ربوعها .

— ٢ —

ومن عوامل ضعف إسرائيل تفشى التردى الخلقى بين أبنائها .

إن مباذل باريس متأخرة كثيراً عن مباذل إسرائيل ، وقد أصبحت إسرائيل تصدر الفسق والفجور إلى العالم لتخريبه .

حتى جيش إسرائيل ، له مؤسسة خاصة مسؤولة عن ترفيه منتسبيه بفتيات خاصات .

والتفسخ الخلقى واضح حتى فى الأسر ، وقد أصبح الرباط العائلى متفسخاً فى إسرائيل .

والأولاد غير الشرعيين واللقطاء وحوادث الاعتداء على الأعراض ، أمور طبيعية مألوفة فى إسرائيل .

والأفلام الخلاعية ، والقصص الداعرة ، والصور العارية ، وكتب الجنس ، كلها رائجة فى إسرائيل .

كتب (اندريه موروا) فى كتابه : أسباب انهيار فرنسا فى الحرب العالمية الثانية أمام الزحف الألمانى بسرعة وبدون مقاومة تذكر : « إن أسباب هذا الانهيار عاملان : كثرة الأحزاب ، والانهيار الخلقى فى فرنسا » . وهذان العاملان تفوقت إسرائيل بما كان فى فرنسا منهما .

إن إسرائيل لا تحتفظ بفسادها الخلقى داخل بلادها ، بل تعمل على نشره فى أرجاء العالم كله .

وويل للعالم من تفشى الانهيار الخلقى الذى ينتقل إليه بالعدوى والتصدير من إسرائيل .

— ٣ —

ومن عوامل ضعف إسرائيل ، هى المادية الطاغية على أبنائها .

إن من أهم مميزات يهود أنهم ماديون ، فهم تجار بالفطرة يحبون المال حباً جماً .

إنهم يبذلون قصارى جهودهم فى جمع المال من أى جهة وفى أية ناحية وبأى أسلوب .

وهذه المادية الطاغية ، تجعل اليهودى يحرص على ماله ، ويحسب لضياعه أو تدميره ألف حساب .

وهذا يجعل اليهودى لا يصبر على تهديد ماله أو ممتلكاته بالخطر من جراء قصف القنابل والتخريب .

وهذا يجعل اليهودى إذا كان جندياً ، أن يقاتل وكل قلبه وفكره فيما خلفه وراءه من مال ومتاع .

والخلاصة ، أن الذى يحب المال ويعيش من أجله ، لا يمكن أن يكون جندياً مقاتلا يضحى بحياته من أجل مثله العليا .

— ٤ —

ومن عوامل ضعف إسرائيل ، جبن أبنائها الأصيل .

وعوامل الجبن ودوافعه ترتكز على سببين مهمين : الأول هو التفسخ الخلقى ، والثانى هو حب المال ؛ وهذان السببان يمكن جمعهما فى سبب واحد هو : حب الدنيا وكراهية الموت .

وأرجو ألا يقول أحد ، أن يهوداً قد تبدلوا ، وأن الزمان قد تبدل ، فيهود لم يتبدلوا حتى اليوم .

والحقيقية التى لا يمكن أن ينكرها أحد ، أنه برز من يهود علماء وصيارفة وتجار واقتصاديون وفنانون وفلاسفة . . . الخ . . . أما أن يبرز منهم أبطال فلا .

وأين البطل الذى برز منهم منذ كانت اليهودية حتى اليوم ؟

وفى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، لم يقاتل يهود بالسلاح الأبيض وجهاً لوجه .

ولم يقاتلوا فى معركة ميدان أبداً .

كانوا يقاتلون من بعيد ، أو من وراء الدروع ، أو من وراء الحصون أو تحت جنح الليل ، أو بالطائرات أو بحماية أسلحة متفوقة .

وصدق الله العظيم : « لا يقاتلونكم جميعاً إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر ، بأسهم بينهم شديد » .

وصدق الله العظيم : « ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله » .

أهؤلاء يخافهم العرب ؟

إن ذلك لمن سخرية الأقدار .

— ٥ —

ومن عوامل ضعف إسرائيل التمييز العنصرى الذى تعانيه داخل بلادها .

هناك تمييز عنصرى فى إسرائيل بين يهود الشرقيين ويهود الغربيين .

وهناك تمييز بين يهود الشرقيين أنفسهم ، فمنزلة يهود العراق مثلا ، أرفع من منزلة يهود اليمن .

وهناك تمييز بين الغنى من يهود الشرقيين وبين الفقير منهم .

وهناك تمييز بين يهود الغربيين أيضاً ، فيهود أمريكا اللاتينية ليسوا كيهود أوربا والولايات المتحدة الأمريكية .

وعلى العموم ، فالوزراء وكبار موظفى الدولة قادة الجيش وقادة الرأى وقادة الفكر ومناصب المعامل الكبرى والمصارف كلها لليهود الغربيين .

أما يهود الشرقيون ، فلهم المناصب التافهة التى لا يكادون يحصلون عليها إلا بشق الأنفس .

ولليهود الغربيين مناطق السكن الممتازة فى المدن الكبيرة والمستعمرات الخصبة ، أما لليهود الشرقيين فالصحراء القاحلة فى النقب والأراضى الصخرية الجرداء .

والخلاصة أن اليهودى الشرقى يلاقى اضطهاداً ملموساً من اليهودى الغربى .

هذا التميز العنصرى بين يهود ، وهذا الاضطهاد المكشوف الذى يلاقيه يهود الشرقيون من يهود الغربيين ، قد أدى إلى تذمر يهود الشرقيين وإلى إصابتهم برد فعل نفسى بعد تجربتهم القاسية التى عاشوها فى إسرائيل ، لذلك حاولوا بشتى الطرق للهرب من إسرائيل .

لقد ندم هؤلاء على هجرتهم من أوطانهم إلى إسرائيل ، والذين استطاعوا الهرب منهم إلى خارج إسرائيل ذكروا العجائب عن ظلم يهود لإخوانهم يهود .

إن تذمر يهود الشرقيين لم يعد سراً ، وقد وصلت أخباره إلى المؤسسات الدولية ، مثل مؤسسة حقوق الإنسان التابعة لهيئة الأمم المتحدة ، فقد استلمت هذه المؤسسة كثيراً من شكاوى المواطنين الإسرائيليين ، يطالبون فيها بنجدتهم للتخلص من جحيم إسرائيل .

ولم يقتصر التذمر على يهود الشرقيين ، بل شمل يهود الغربيين أيضاً ، وخاصة الفقراء منهم .

إن المبدأ السائد فى إسرائيل ، هو مبدأ : المال . فمن كان له مال وله سند من عصبية عاش بسلام .

وإلا فله العرق والدموع والصحراء .

— ٦ —

ومن عوامل ضعف إسرائيل موقعها الجغرافى .

إن إسرائيل تقع فى بقعة صغيرة نسبياً بين الدول العربية التى لها حدود معها مثل لبنان وسورية والأردن ومصر ، والتى لا حدود لها معها من المحيط إلى الخليج .

وقد قدر عقلاء يهود هذا الموقف الحرج قبل أكثر من ثمانين عاماً ، فاقترحوا أن يكون الوطن القومى ليهود فى إفريقية أو فى أمريكا اللاتينية ، حيث كثافة السكان قليلة ، وحيث يستطيعون العمل هناك فى البناء بهدوء وسلام .

ولكن المتطرفين من يهود أصروا على أن تكون فلسطين بالذات وطناً قومياً لهم .

ووقع ما توقعه عقلاء يهود ، فولدت إسرائيل داخل كماشة البلاد العربية فى مساحاتها الشاسعة وطاقاتها البشرية والمادية .

فماذا سيحدث لإسرائيل عندما تحين ساعة الحساب ؟

وكيف يمكن أن تعيش وسط خضم لجب من الأعداء ؟

إن موقع إسرائيل الجغرافى ليس فى جانب مصلحتها أبداً . . . إن ذلك من مصلحة أعدائها .

— ٧ —

ومن عوامل ضعف إسرائيل عامل الوقت .

إن الوقت ليس بجانب إسرائيل فى شىء ، بل هو بجانب العرب .

نفوس إسرائيل حوالى مليونى نسمة .

ونفوس العرب حوالى مائة مليون نسمة .

ونفوس المسلمين حوالى خمسمائة مليون نسمة .

والعرب والمسلمون إذا ناموا ساعة ، فلن يبقوا نائمين إلى قيام الساعة .

والعرب قد قطعوا شوطاً بعيداً فى مجال التقدم بعد عام ١٩٤٨ حتى اليوم .

والاستعمار كانت له صولة وجولة فى بلاد العرب عام ١٩٤٨ ، ولكنه اليوم قد ارتحل إلى غير رجعة بإذن الله .

وكان السلاح العربى من الغرب يحتكرونه ، أما اليوم فقد تبدل الحال غير الحال .

والوعى العربى قد تطور من قوة تافهة لا قيمة لها على الحكام عام ١٩٤٨ ، إلى قوة ضاربة يحسب لها الحكام ألف حساب اليوم .

والعرب متفوقون بالعدد والطاقات المادية والمعنوية على إسرائيل ، وحقهم واضح صريح فى وطنهم السليب .

فإذا استطاع يهود أن يقيموا بمعاونة الاستعمار دولة إسرائيل فى غفلة من الدهر ، وفى غفلة من العرب ، فلن يستمر هذا الوضع الشاذ إلى الأبد فى ربوع فلسطين .

— ٨ —

ومن عوامل ضعف إسرائيل ما يكمن فى جيش إسرائيل على رغم مظهره الخارجى من نواقص ومحاذير .

إن تدريب جيش إسرائيل وتسليحه وتنظيمه وتجهيزه ليس كل شيء ، بل هناك أهم من ذلك بكثير هي : الناحية المعنوية .

والمعروف أن أي جيش في العالم يتكون من عنصرين : العنصر المادي والعنصر المعنوي .

ومعنويات الجيش — أي جيش — لا تقل أهمية عن الناحية المادية فيه ، إن لم تكون المعنويات أهم بكثير من الماديات .

فما هي حقيقة الناحيتين المادية والمعنوية في جيش اسرائيل ؟

جيش إسرائيل يتكون من عناصر بشرية تتسم بالجبن الأصيل وحب المادة والتخنث ، وهذا جيش لا يمكن أن يقاتل بشجاعة وإقدام .

وقد انتصر جيش إسرائيل عام ١٩٤٨ باللف والدوران والمكر والخديعة وبإسناد الدول الاستعمارية وتخاذل الساسة العرب .

وقد اعترف قادة إسرائيل بذلك علناً .

أهذا جيش يمكن أن يخشاه أحد من الناس ؟

إسرائيل والقنبلة الذرية



— ١ —

تمهيد

فى هذا البحث عن : إسرائيل والقنبلة الذرية ، أحاول إفهام العسكريين وغير العسكريين منذراً[١] العرب من المحيط إلى الخليج ، ومنذراً المسلمين من المحيط إلى المحيط ، بخطر محاولة[٢] إسرائيل إنتاج القنابل الذرية .

لقد أنذرتُ العرب والمسلمين عام ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م) بهذا الخطر ، وكانت نيَّات إسرائيل فى اكتشاف القنابل الذرية قد أصبحت معروفة فى العالم كلِّه منذ عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) ؛ ولكن العرب والمسلمين خدّروا أنفسهم بالأمانى ، وأجمعوا على أن ما أجمع عليه العالم كله وهم من الأوهام .

ومضت السنون ثقيلة الخطى مثقلة بالأسرار ، تستفيد إسرائيل من كل لحظة من لحظاتها ، ويبدد العرب والمسلمون أوقاتهم سدى ، حتى إذا جاءت سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) استيقظ النُّوَّم من سباتهم العميق ، فوجدوا القطار قد فاتهم بعيداً عن مستقرهم الذى كانوا فيه سادرين[٣] .

وابتدأت الصحف العربية والإسلامية سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) تدق أجراس الخطر ، ولكن ما كتبته تلك الصحف حتى اليوم لم يخرج أبداً عن نطاق المقالات السطحية التى تعتمد على العاطفة ولا تعتمد على البحث والتحقيق .

---

(١) نذر بالشيء — نذراً ونذارة : علمه فحذره . يقال نذروا بالعدو .

(٢) حاول الأمر محاولة وحوالا : أراد إدراكه وإنجازه . وحاول : طلبه بالحيل .

(٣) سدر — سدراً وسدارة : تحير بصره من شدة الحر . ويقال : سدر بصره . وسدر : لم يهتم ولم يبال ما صنع ، فهو سادر وسدر ، يقال : هو سادر فى الغى : تائه .

لقد أبدت تلك الصحف كثيراً من السخط والاحتجاج ، ولكن ذلك السخط والاحتجاج لا يغير من الواقع المرير شيئاً ، وما مثل تلك الصحف إلا كمثل الأعرابي الذى خسر إبله ، فقال لامرأته : « أشبعتهم شتماً وراحوا بالإبل » ؟

وهذه الفرصة السانحة التى أهتبلها[1] اليوم فى هذا الكتاب لأنذر قادة الفكر العربى والإسلامى أولا ، والشعب العربى والإسلامى ثانياً ، هى فرصة العمر لبحث معضلة[2] مصيرية تهدد العرب خاصة والمسلمين عامة بأفدح الأخطار ، تلك المعضلة هى : إسرائيل والقنبلة الذرية .

وأريد بهذا البحث العسكرى البحت ، أن أيسِّر للرأى العام العربى والإسلامى تفهم تاريخ محاولات إسرائيل للحصول على السلاح الذرى ، وقابليات إسرائيل لإنتاج هذا السلاح ، وأهدافها السياسية ونياتها التوسعية ، والنتائج المحتملة لحصولها على السلاح الذرى ، وما يجب أن يتخذه العرب والمسلمون من التدابير إزاء هذا الخطر .

وقد توخيت الصراحة فى مناقشة القضايا الذرية وفى إبداء الرأى حولها ، وذكرت الحقائق مهما تكن قاسية ، لأن الصراحة وحدها هى الدواء الناجع لإيقاظ النائمين ، فالأمم تغشّ عدوها إذا أرادت البقاء ، وتغشّ نفسها إذا أرادت الفناء ، ولا أجد أمّة من الأمم غير العرب والمسلمين تخدع نفسها ، أما العرب والمسلمون فهم وحدهم يخدعون أنفسهم وما يشعرون .

إن الواجب يقضى علينا أن نجابه الناس بالحقائق ، لأن ذلك يحملهم

---

(١) اهتبل الفرصة : اغتنمها .

(٢) المعضلة : المسألة المشكلة التى لا يهتدى لوجهها .

على بذل المزيد من جهودهم من أجل معالجة الأمور على هدى وبصيرة ، بدلا من إخفاء رؤوسنا فى التراب كالنعامة تهرباً من مجابهة الحقائق واستخفافاً بالأخطار .

إن إثارة موضوع التسلح الذرى الإسرائيلى ، لايعنى أبداً الخوف من إسرائيل ، بل العكس هو الصواب ، لأن إثارته دليل عملى على الرغبة الصادقة لمجابهة التحدى الإسرائيلى بتحدٍ مثله ، فلادواء لعلّة من العلل لايكون تشخيصها دقيقاً كاملاً ، وإلا كان الدواء قاتلا أو بدون جدوى .

— ٢ —

تاريخ المحاولات الإسرائلية

للحصول على السلاح الذرى

(١) طمعت إسرائيل فى الحصول على أسرار الذرّة بعد إعلان قيام دولة إسرائيل سنة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٨ م) فى الأرض المقدسة من أرض فلسطين ، وكانت محاولاتها مكتومة عن العالم تخفيها بالتظاهر بالفقر والعوز وبالدعوة إلى السلام .

ولأول مرة ظهرت نيّات اسرائيل فى الحصول على السلاح الذرى بعد الاعتداء الثلاثى على مصر سنة ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) ، إذ ظهر أن من جملة شروط التعاون الفرنسى — الإسرائيلى فى مهاجمة مصر ، هو إمداد فرنسا لإسرائيل بأسرار الذرّة وموادها الأولية المتيسرة لديها .

وبدأت اسرائيل تخطط لإقامة فرن[1] ذرى (ديمونا) الواقعة فى منطقة

---

(١) الترجمة الحقيقية لكلمة (Reactor) الإنكليزية هى (مفاعل) ، غير أن هذه الكلمة ليست دارجة فى البلاد العربية بل الدارج هو (الفرن الذرى) أو (المولد الذرى) .

(بئر السبع) سنة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م)[1] وتضع له التصاميم . وكانت فرنسا عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) قد قطعت شوطاً بعيداً فى مشروعها الرامى إلى صنع أول قنبلة ذرية : أنجزت إقامة أفرانها الذرية ، ودأب علماؤها على مواصلة تجاربهم ؛ فاستعانت إسرائيل بفرنسا فى تنفيذ مخططاتها الذرّية ، وكانت مصيبة الفشل فى حملة (السويس) قد قرّبت بينهما أكثر من ذى قبل ، وعززت من تحالفهما ضد الدول العربية .

ب — وفجّرت فرنسا قنبلتها الذرية الأولى سنة ١٣٨٠ هـ (شباط ١٩٦٠ م) فى صحراء الجزائر ، فاستغلت إسرائيل حقد فرنسا على العرب استغلالا شنيعاً ، وزار بن غوريون فرنسا فى حزيران من هذه السنة مهنئاً ومستجدياً ، كما زارها رجال مسئولون من إسرائيل كشمعون بيريز وكيل وزير الدفاع الإسرائيلى ، وكان لتلك الزيارات علاقة وثيقة بمحاولات إسرائيل للحصول على السلاح الذرى[2] .

فقد أكدت الأنباء أن فرنسا زودت إسرائيل بمقدار من البلوتو نيوم[3] وبالأسرار الفنية اللازمة لصنع القنبلة الذرية[4] وبالخبراء لإقامة الفرن الذرى الإسرائيلى ، وقد ثبت أن هذا الفرن كان يشرف على إنشائه علماء فرنسيون ! .

---

(١) كتبت جريدة نيويورك تايمس تعليقاً للكاتب (آرثر كروك) جاء فيه : « إن التاريخ السرى للفرن الذرى الإسرائيلى يبدأ فى أيلول عام ١٩٥٧ » .

(٢) أكدت ذلك جريدة الديلى ميل البريطانية فى عددها الصادر بتاريخ ٢١/١٢/١٩٦٠ .

(٣) البلوتونيوم (Pultonium) : عنصر يستخرج من أحد أنواع اليورانيوم (وهو اليورانيوم ٢٣٨) .

(٤) جاء فى مجلة (نيوزويك) الأمريكية الصادرة فى ٢٦ كانون الأول سنة ١٩٦٠ التى ذكرت هـذا الخبر تحت عنوان : « قنبلة فى الأراضى المقدسة » ، بأن مصادر موثوقة فى لندن وواشنطن أيدت هذه المعلومات .

ولكن إسرائيل كذبت هذه الأنباء فصرّح بن غوريون[1] فى البرلمان الإسرائيلى : « بأنه لا صحة للأنباء القائلة بأن إسرائيل تصنع قنبلة ذرية » ، ومن المدهش حقاً أن الصحافة العربية رددت هذا التكذيت مقتنعة بصحته ، من غير أن تنكر بأن هذا الإنكار تقتضيه المصلحة العسكرية والسياسية معاً لإسرائيل ، وكان بإمكان العرب التشهير بنيّات إسرائيل العدوانية واستثارة الرأى العام العالمى الذى يطالب بتحريم الأسلحة الذرية ...

لقد ادّعى بن غوريون فى تصريحاته التى أشرنا إليها ، بأن الفرن الذرى الذى تبنيه إسرائيل فى منطقة (بئر السبع) هو الأغراض السلمية ، وهذا الادعاء تمويه واضح وتخدير للعرب لم ينطل حتى على أصدقاء إسرائيل ، لأن الطاقة الإنتاجية للفرن المذكور تبلغ (٢٤٠٠٠) كيلو واط . وهذه الطاقة تجعله صالحاً لإنتاج البلوتونيوم اللازم لصنع القنبلة الذرية[2] .

— ٣ —

عوامل إنتاج السلاح الذرى

١ — من الإشاعات التى تطلقها إسرائيل بين حين وآخر ، وترددها الصحافة العربية ، ويصدقها بعض المسؤولون العرب ، إن محاولات إسرائيل للحصول على الأسلحة الذرية مجرد دعاية إسرائيلية للتأثير على معنويات العرب ، ولتخويفهم من قوة إسرائيل الضاربة ، ولمنعهم من استرداد أرضهم المغتصبة فى أرض فلسطين .

---

(١) كان تصريحه يوم ٢١/١٢/١٩٦٠ .

(٢) نشرت مجلة (نيوز ويك) فى عددها الصادر بتاريخ ٢/١/١٩٦١ صورة الفرن الذرى الإسرائيلى الجديد ، وأكدت أن هذا الفرن يصلح لإنتاج الطاقة الذرية .

وإذا قلت : إن هذه من جملة إشاعات إسرائيل ، وإن العرب وحدهم يصدقونها ، فإنما أعنى كل كلمة أقولها ، لأن غير العرب من الأمم الشرقية والغربية على حد سواء تعتبر مزاعم إسرائيل هـــذه خطة تضليلية محكمة تهدف إلى تغطية نوايا إسرائيل العدوانية بحجاب كثيف من الشك والريبة ، حتى إذا أكملت إسرائيل إنتاج سلاحها الذرى جعلت العرب فى وضع لايحسدون عليه ، وأجبرتهم على الركوع أمام مطاليبها الظالمة وأهدافها التوسعية على حساب الدول العربية المجاورة .

فما هى عوامل إنتاج السلاح الذرى ، التى إذا تيسرت فى دولة من الدول استطاعت بيسر وسهولة إنتاج هذا السلاح ؟ ؟

هذه العوامل هى أربعة كما هو معروف :

أولا : تيسّر علماء الذرة .

ثانياً : تيسّر الأفران والمواد الذرية .

ثالثاً : تيسّر المال اللازم لإنتاج السلاح الذرى .

رابعاً : تيسّر ساحة مناسبة لإجراء التجارب الذرية .

فهل تتيسر هذه العوامل مجتمعة فى إسرائيل ؟ ؟

ب — أولا : تيسر علماء الذرة .

آنشتين صاحب النظرية النسبية وأبو الذرة الأول يهودى ، وأكثر علماء الذرة فى العالم يهود ، فقدنزح الى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها بعد الحرب العالمية الثانية من ألمانيا والمجر وإيطاليا من علماء الذرة اليهود عدد ضخم يكفى أن نذكر منهم (فيرمى) و (تيلر) و (ويلر) و (زيلارد) الخ ...

وقد كان رئيس لجنة الطاقة الذرية في الولايات المتحدة الأمريكية الى وقت قريب عالماً يهودياً .

وقد أثبتت محاكمات العلماء الذين أفشوا أسرار الذرة الى الاتحاد السوفياتي والى الصين الشعبية في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وكندا من أمثال الدكتور (فوكس) ، أن هؤلاء العلماء من يهود .

فإذا أفشى علماء الذرة من يهود أسرار القنبلة الذرية للاتحاد السوفياتي والصين الشعبية ، فهل يحجمون عن إفشاء تلك الأسرار لإسرائيل ؟

إن في إسرائيل علماء في الذرة يشتغلون في المؤسسات الإسرائيلية التالية :

(١) لجنة الطاقة الذرية الإسرائيلية .

(٢) معهد (وايزمان) في (راحبوت) : ويبحث في الرياضيات التطبيقية والفيزياء وفي الالكترونيات والتصوير الكيماوي وفي غيرها من العلوم . وقسم الفيزياء الذري في هذا المعهد هو الذي يقوم الآن بمعظم البحوث الذرية الإسرائيلية .

(٣) مجلس البحوث الوطني : وهو عبارة عن مجلس تنسيقي للبحوث التي تجري في المعاهد العلمية الإسرائيلية كلها . وقد عُيِّن لرئاسة هذا المجلس العالم الإسرائيلي (دوستروفسكي[1]) الذي كان يشغل منصب مدير قسم النظائر المشعة في معهد (وايزمان) .

(٤) مديرية العلوم في وزارة الدفاع الإسرائيلية : وتشرف هذه

---

(١) عين (دوستروفسكي) بواجب الإشراف على مشاريع الطاقة الذرية لوزارة الدفاع الإسرائيلية في تموز أو حزيران سنة ١٩٦٠ ، وذلك يصادف موعد عودة بن غوريون من فرنسا ، تلك الزيارة التي تم فيها الاتفاق حول مساعدة فرنسا لإسرائيل على صنع القنبلة الذرية .

المديرية على جميع القضايا العلمية للقوات المسلحة الإسرائيلية بما فى ذلك القضايا الذرية .

هذه المؤسسات العلمية الإسرائيلية ، تعمل بتعاون وثيق مع علماء الذرة من يهود فى العالم كله ، وكمثال واحد على هذا التعاون ، زيارة اسرائيل من (روبرت اوبنهايمر) الذى أشرف على صنع أول قنبلة ذرية فى العالم لحساب الولايات المتحدة الأمريكية ، ومن (فليكس بلوخ) الذى انتخب عام ١٩٥٤ م مديراً عاماً للمجلس الأوروبى للأبحاث الذرية ، وهذان العالمان من يهود الولايات المتحدة الأمريكية[١] .

واسرائيل تفيد من الوكالة الدولية للطاقة الذرية التى تعتبر أهم مؤسسة علمية فى المؤسسات العلمية الدولية ، أكثر مما يفيد العرب من الوكالة الدولية للطاقة الذرية .

إن معظم الخبراء الذين طلبتهم اسرائيل لزيارتها بقصد الاستفادة من خبرتهم ، كانوا من كبار المختصين بشئون المختبرات الحرارية والفيزياء .

وخلال الستة أشهر المنصرمة من هذا العام (١٩٦٦) ، زار اسرائيل أربعة عشر عالماً ذرياً كان آخرهم الأستاذ ت . هاييس البريطانى والأستاذ ت . أ . نونا ميكر الأمريكى وجميع هؤلاء وفدوا على معهد وايزمان للأبحاث الذرية فى راحبوت بالقرب من حيفا[٢] .

---

(١) ذكرت ذلك نشرة (الثقافة الإسرائيلية الحديثة) التى أصدرتها وزارة الخارجية الإسرائيلية فى آب من سنة ١٩٦٠ ، وهذه النشرة تصدر باللغة الفرنسية .

(٢) الدول العربية التى تشارك بأموالها فى هذه الوكالة الدولية للطاقة الذرية هى إحدى عشرة دولة أعضاء فى هذه الوكالة يساهمون فى ميزانيتها ولهم الحق بالحصول على مساعداتها الفنية من أجهزة وخبراء . ولكن إسرائيل بمفردها تحظى بمساعدات فنية تعادل ثلاثة أضعاف مما تحصل عليه جميع الدول العربية مجتمعة . . ! !

فهل أمثال هؤلاء العلماء يحضرون اسرائيل للترفيه عن النفس وللترويح عن القلب وللهو البرىء ؟ ! .

ثانياً — تيسر الأفران والمواد الذرية :

١ — هناك فرنان ذريان إسرائيليان : الأول صغير والثانى كبير .

(ا) الفرن الذرى الإسرائيلى الأول : أنشأت إسرائيل هذا الفرن بمساعدة أمريكا وفق منهاج : (الذرة من أجل السلام) ، وقد شُيِّد هذا الفرن فى (نحال روبين) بالقرب من (راحبوت) ، وهو فرن صغير طاقته الإنتاجية (١٠٠٠) كيلو واط ، ويستعمل للأغراض العلمية ، ويتدرب عليه نحو مائتين من رجال العالم فى دورات متعاقبة .

(ب) الفرن الذرى الإسرائيلى الثانى : بدأت إسرائيل ببنائه سنة ١٩٦٠م ، ومن المؤكد أنها أكملته سنة ١٩٦٥ م أو قبل ذلك بسنة . هذا الفرن فى منطقة (بئر السبع) ، طاقته (٢٤٠٠٠) كيلو واط . وهذا الفرن يؤلف جزءاً من مدينة ذرية تنوى إسرائيل إنشاءها فى منطقة (بئر السبع) . بُنى هذا الفرن تحت إشراف مهندسين فرنسيين وبمساعدة فرنسا بموجب اتفاق خاص بينها وبين إسرائيل[1] وتصاميم الفرن شبيهة بتصاميم الأفران الذرية الفرنسية مع تعديلات فيها مأخوذة عن تصاميم الفرن الذرى الأمريكى الموجود فى ولاية (كارولاينا الجنوبية) ، مما يدل على أن إسرائيل استفادت من علماء الذرة من يهود فى أمريكا ، فحصلت على تصاميم الفرن الأمريكى ، وأدخلت ما فيه من مزايا على التصاميم الفرنسية ،

---

(١) جاء ذلك فى بيان كل من وزارة الخارجية الفرنسية والسفارة الإسرائيلية فى باريس الصادر يوم ١٩/١٢/١٩٦٠ .

فأفشت بعض الأسرار الذرية إلى فرنسا ، كما أفشت إليها فرنسا علناً ما تملكه من تلك الأسرار[١] .

لقد أجمعت المصادر العلمية بأن فرن (بئر السبع) الإسرائيلى ، يستطيع أن ينتج الطاقة الذرية وعنصر البلوتو نيوم معاً ، وقد أكدت تلك المصادر على أن هذا الفرن يمكن الاستفادة منه فى إنتاج النظائر المشعة للأبحاث العلمية ، وفى توليد كميات كبيرة من النوترونات للأبحاث العلمية ، وفى إنتاج عنصر البلوتونيوم اللازم لصنع الأسلحة الذرية ، وفى توليد الطاقة الذرية للأغراض الصناعية ، ومن هذه الأغراض تحلية مياه البحر الذى أعلنت عنه إسرائيل .

٢ ـــ اليورانيوم فى إسرائيل :

زوّدت فرنسا إسرائيل بكمية من البلوتونيوم Plutonium وهو عنصر يستخرج من أحد أنواع اليورانيوم (وهو اليورانيوم ٢٣٨) ، كما أصبح فى وسع أية دولة الآن شراء هذا المعدن من الأسواق العالمية[٢] .

وقد اكتشفت إسرائيل اليورانيوم فى منطقة النقب[٣] كما أن هذا المعدن متيسر فى منطقة البحر الميت والمنطقة المجاورة لحمامات (الحمّة) ، وقد استوردت إسرائيل الأجهزة العالمية لتصفية اليورانيوم[٤] .

---

(١) جرى تحقيق فى أمريكا لمعرفة كيفية حصول إسرائيل على تصاميم الفرن الذرى الأمريكى ، ومن الواضح أن علماء الذرة من يهود الذين يغمرون أمريكا هم الذين أفشوا سر هذا الفرن إلى إسرائيل .

(٢) أصبح الآن سعر الطن من اليورانيوم نحو (٢٥٠٠٠) دولار .

(٣) ذكر ذلك مراسل محطة الإذاعة البريطانية فى تل أبيب يوم ٢٢/١٢/١٩٦٠ تعليقاً على تصريح بن غوريون فى الكنيست قبل ذلك بيوم واحد .

(٤) أصدرت جمعية السندات الإسرائيلية فى أمريكا فى أيلول ١٩٥٧ تقريراً بقلم الخبير الاقتصادى الأمريكى (ليون كيسر لنك) جاء فيه : إن إسرائيل تقوم بأبحاث لصناعة الماء الثقيل ولاستخراج اليورانيوم من مناجم الفوسفات فى النقب .

٣ — الماء الثقيل :

استوردت إسرائيل كمية من الماء الثقيل من فرنسا ، كما أن معهد (وايزمان) للأبحاث العلمية اكتشف طريقة جديدة لإنتاج الماء الثقيل نتيجة لجهوده التى ابتدأت سنة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) .

ثالثاً — تيسر المال :

ذكرنا فيما مضى لمحة موجزة عن ثراء إسرائيل ، ونعود هنا لذكر ثراء إسرائيل مرة أخرى لأهمية ذلك وضرورة تأكيده .

من المؤسف حقاً أن تردد الصحافة العربية والإسلامية وأجهزة إعلامها ، أن إسرائيل تعانى ضائقة مالية ، وأنها فى عوز شديد وفقر مُدْقع[1] ، فتعاون هذه الصحف وتلك الأجهزة من حيث تدرى أو لاتدرى إسرائيل لكسب عطف العالم وتسهيل مهمة الصهيونية العالمية لجمع الإعانات الضخمة والتبرعات الكثيرة من يهود العالم ومن غيرهم لإسرائيل .

فى سنة ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م) ، نجحت إسرائيل فى عقد اتفاقية تعويضات مع ألمانيا الغربية ، فتعهدت ألمانيا بموجبها أن تدفع لإسرائيل مبلغ (٣٧٠٠) مليــون دولار خلال عشر سنوات ، أى بمعدل (٣٧٠) مليون دولار فى السنة ، وهذا المبلغ وحده يزيد على ميزانية كثير من الدول العربية ، وكان من بعض نتائج هذه الاتفاقية صفقة الأسلحة السرية والمساعدات العسكرية الألمانية لإسرائيل التى استنكرها العرب سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) ، فقطعت كثير من الدول العربية علاقاتها مع ألمانيا الغربية .

---

(١) فقر مدقع : شديد .

والتبرعات التى يجمعها يهود نيويورك وحدهم سنوياً خلال فترة قصيرة ، تزيد على ميزانية كثير من الدول العربية كما هو معروف ! .

ويهود فى العالم أغنياء ، وهم يجودون بأموالهم بسخاء لا مزيد عليه لدولتهم الأم إسرائيل .

فإذا كانت إسرائيل تجمع مبالغ طائلة ضخمة من يهود نيويورك وحدهم[١] ، فكم تجمع من يهود فى كل أرجاء العالم ؟

إن المال هو عصب الحرب ، ويهود يسيطرون على المال حتى فى بعض الدول العربية وفى العالم كله .

اسألوا : من هم مدراء المصارف العالمية ؟ إسألوا : من هم المسيطرون على البورصة فى الدول الرأسمالية ؟ إسألوا : من هم الذين يسيطرون على الأسواق العالمية[٢] ؟ إسألوا من هم المسيطرون على السوق الأوروبية المشتركة ؟

إن الميزان التجارى لإسرائيل يرتفع كل عام ، وهى فى كل يوم تجد لها أسواقاً جديدة فى مختلف قارات الدنيا[٣] !

فهل إسرائيل فقيرة تكاد تموت جوعاً ، كما تصور ذلك أجهزة إعلام إسرائيل ، فتردد ذلك أجهزة إعلام العرب والمسلمين ببلاهة تمزق نياط القلب ؟

---

(١) ظهر للعرب وللعالم كله قوة يهود نيويورك أثناء زيارة العاهل السعودى لهذه المدينة فى تموز (يوليو) من سنة ١٩٦٦ م.

(٢) عقد فى إسرائيل مؤتمر للتجارة العالمية فى أواخر شهر آذار ١٩٦٦ .

(٣) كما لإسرائيل مع آيسلندا التى هى قرب القطب الشمالى والبالغ نفوسها (٢٠٠٠٠٠) علاقات تجارية ! .

إن إسرائيل والصهيونية العالمية تسيطر على أجهزة الإعلام فى العالم ، وهى تبذل من أجل مضاعفة سيطرتها كثيراً من الجهد المنظم والمال الوفير ، فيجب أن تتذكر ذلك أجهزة الإعلام العربية والإسلامية فلا تتلقى ماتذيعه أو تنشره أجهزة الإعلام العالمية عن إسرائيل فتعيد إذاعته أو نشره بدون تفكير أو تمحيص .

إن كثيراً ممـا تنشره أو تذيعه أجهزة الإعلام فى مختلف الدول ماهو إلا من حياكة يهود وصياغتهم أو من حياكة وصياغة عملائهم الذين يبيعون ضمائرهم بالمـــال الحرام ، فلا تنزلقنّ أجهزة الإعلام العربية والإسلامية فى شِباك إسرائيل والصهيونية العالمية وعملائهم ، فتكون تلك الأجهزة العربية والإسلامية على العرب والمسلمين ، والمفروض أن تكون لهم لا عليهم .

وهنا أذكّر الرأى العام العربى والإسلامى بفقرتين فقط من فقرات بروتوكولات حكماء صهيون .

الأولى التى نصها : «السيطرة على مصادر الثروة فى كل قطر ، واحتكار الصناعة والصيرفة فى جميع أنحاء العالم ، والاستعانة بالمضاربات للتلاعب فى مقدرات الدول الاقتصادية والسيطرة عليها من هذه الطريق » .

والثانية التى نصها : « السيطرة على وسائل الإعلام والدعاية والنشر ، كالصحافة والمذياع والمذياع المصور (التلفزيون) والسيما (السينما) والأدب والفن والمسرح الخ... فى أقطار العالم المهمّة ، وتسخيرها لمصلحة الصهيونية العالمية » .

إن هاتين الفقرتين يجب أن تكونا معروفتين لكل من يشتغل فى أجهزة الإعلام فى بلاد العرب ودار الإسلام ، أما أن ننشر كل مانقرأ ، ونذيع كل

ما نسمعه ، فهذا هو ماتريده إسرائيل بل أكثر مماتتوقعه إسرائيل ، وهو مايحدث فعلا فيما تنشره الصحافة العربية والإسلامية وتذيعه أجهزة إعلامها مع الأسف الشديد .

إن إسرائيل ويهوداً هم قادة المال فى العالم كله ، وهم أغنياء العالم والمسيطرون على المال عصب الحرب .

رابعا — التجارب الذرية :

يبدو لأول وهلة ، أن إسرائيل ستجابه مشكلة كبيرة وصعوبات جمة فى محاولاتها تجربة أسلحتها الذرية ، إذ ليس فى المنطقة التى تحتلها منطقة خالية تكفى لإجراء التجارب الذرية .

إن بريطانيا أجرت تجاربها الذرية فى صحراء أوستراليا ، وفرنسا أجرتها فى صحراء الجزائر أولا ثم فى المحيط بعد ذلك كما تفعل الآن . فأين تجرى إسرائيل تلك التجارب .

ولكن إسرائيل فكرت فى ذلك مسبقاً ، إذ ليس من المعقول ولا من المنطق ، أن تبذل إسرائيل كل هذه الجهود وكل هذه النفقات لإنجاز السلاح الذرى ، ولا تفكر فى الحلول العملية لإجراء تجاربها الذرية .

فقد تستفيد إسرائيل فى تجاربها الذرية من مناطق التجارب الفرنسية فى المحيط وسيوفر لها ذلك مبالغ طائلة بذلتها فرنسا لإقامة التأسيسات والمراصد والآلات الضرورية لإجراء التجارب الذرية .

وقد تجرى إسرائيل تجاربها فى البحر قرب الساحل الإسرائيلى أو تحت الأرض ، ومن المعروف أن التجارب تحت الأرض لاتقل أهمية عن التجارب فى الجو .

وقد تستغنى عن إجراء تجارب الانفلاق الذرى ، وهذا المسلك هو الذى يبدو مقنعاً ، لأن إسرائيل بدون شك استفادت من تجارب الآخرين واستحوذت على عصارة تجارب العلماء من يهود ، فضمنت بذلك دقة إنتاجها الذرى إلى درجة لاتحتاج معها إلى تجارب ذرية .

إن ذلك يلائم ميل يهود الفطرى إلى الاقتصاد بالنفقات ، وتسخير خبرات الآخرين لصالحهم . كما أنه يلائم موقف إسرائيل من عدة وجوه : يساعدها على كتمان وجود السلاح الذرى لديها ، ويجنبها استثارة الرأى العام العالمى عامة والرأى العام العربى والإسلامى خاصة .

ثم إن الغرض الرئيسى من إجراء هذه التجارب هو تطوير السلاح الذرى وتحسينه ، وليس التأكد من انفلاق القنابل ، لأن ذلك مضمون تماما ، وقد رأينا كيف أن قنبلة (هيروشيما) فى اليابان ألقيت دون أن تُجرَّب .

إنى أعتقد أن إسرائيل ستهمل إجراء تجارب الانفلاق الذرى ، وتركز جهودها لإنتاج قنابلها الذرية بالدرجة الأولى .

وعلى كل فإن مشكلة التجارب الذرية ، هى أقل مشاكل الإنتاج الذرى شأناً .

(ج) تلك هى عوامل إنتاج السلاح الذرى بالنسبة لإسرائيل : عدد ضخم من علماء الذرة من يهود وضعوا حصيلة خبراتهم تحت تصرف إسرائيل ، ودول ذرية كبرى زودت إسرائيل بعصارة تجاربها الذرية علناً كفرنسا وسراً كالولايات المتحدة ، وأفران ومواد ذرية متيسرة فى إسرائيل حصلت عليها من خارجها ومن داخلها ، وسيطرة حاسمة على ثروات البشرية لايشك فيها إلا غبى أو عميل أو دخيل أو راغب فى غش العرب

والمسلمين من العرب والمسلمين أنفسهم أو من أعدائهم المستعمرين والصهاينة ، وقابلية على إجراء التجارب الذرية أو عدم إجرائها حسب ظروفها العسكرية والسياسية .

فهل هناك من العرب والمسلمين مخلص للعرب والمسلمين ، أمين على مصالحهم ، يحب لهم الخير والأمن ، ويحرص على إزالة إسرائيل (حقاً) من الوجود ، يمكن أن يدّعي بأن الأخبار الواردة حول التسلح الذرى الإسرائيلي هى من نسج الخيال[١] ؟ .

إن أمثال هؤلاء الإمعات يستحقون السخرية والرثاء . . . ولا أزيد ! .

— ٤ —

أهداف إسرائيل من التسلح الذرى

(أ) الأهداف العسكرية :

١ — المعنويات :

يحاول العدو رفع معنويات قواته المسلحة خاصة وشعبه عامة ، ويحطم معنويات القوات المسلحة لعدوه خاصة وشعوبها عامة .

والمعنويات العالية عنصر ضرورى للجيوش وللشعوب ، وتلك المعنويات العالية عامل حاسم من عوامل الانتصار فى الحروب ، لاتقل

---

(١) صرح أحد أعضاء وفود الدول العربية التى حضر مؤتمر وزراء الخارجية فى بغداد سنة ١٩٦١ ، بأن الأخبار الواردة حول التسلح الذرى الإسرائيلى هى من نسج الخيال ! ! . ولا يزال بين المسؤلين العرب من أمثال هذا المسئول كثيرون مع الأسف الشديد .

شأناً عن التدريب الجيّد والتسليح الممتاز والتنظيم الدقيق والتجهيز المتكامل .

والجيش الذى يتفوق بأسلحته على عدوه ترتفع معنويات جنوده من جهة ، وتتحطم معنويات عدوه من جهة أخرى .

ووجود السلاح الذرى لدى إسرائيل هو تفوق ساحق على الأسلحة التقليدية ، لأن قوة السلاح الذرى وضخامة تأثيره جعل الأسلحة الأخرى فى قوتها وتأثيرها بالنسبة إلى السلاح الذرى كلُعب الأطفال .

فإذا أنتجت إسرائيل السلاح الذرى ، فاقرأ على معنويات العرب والمسلمين السلام .

كانت اليابان فى الحرب العالمية الثانية متفوقة بالجيوش البرية والبحرية على الحلفاء ، وكانت تقاتل فى مناطق بعيدة عن الوطن الأم ، وكان بإمكانها أن تديم زخم الحرب وتصمد للحلفاء مدة طويلة قبل أن تنهار عسكرياً . ولكن مجرد استعمال الولايات المتحدة للقنابل الذرية فى هيروشيما وناكازاكى أدى إلى استسلام اليابان للحلفاء حيث أذاع الميكادو امبراطور اليابان بيانه المشهور الذى قال فيه : « لقد أصبح لدى العدو سلاح لانستطيع الصمود أمامه ، فلم يبق أمامنا غير الاستسلام » .

إن إسرائيل سترج معركة المعنويات على العرب والمسلمين بمجرد حصول إسرائيل على السلاح الذرى وبقاء العرب والمسلمين فى نطاق أسلحتهم التقليدية .

٢ — التوسع على حساب البلاد العربية :

الصهيونية لاتؤمن بغير القوة ، فهى تعتمد على التفوق العسكرى قبل

كل شيء ، وهذا حدا بحكام إسرائيل أن يجعلوا منها دولة عسكرية ، وأن يطبعوا كل شيء فيها بالطابع العسكرى .

حوكم مرة كاتب إسرائيلى انتقد الاتجاه العسكرى البحت فى إسرائيل ، فقال فى معرض دفاعه للمحكمة : « إنى وجدت العناية منصرفة فى هذا البلد لخلق شباب متعصب إلى أقصى حدود التعصب ، فهو يربى تربية عسكرية ، ويوجّه توجيهاً حربياً إلى أهداف احتلالية ، ويتلقى تعليماً تعصبياً من النوع الضيق جداً كالذى يطبق فى الدول العسكرية . إنهم جعلوا الجيش هنا قبلة الشباب ومنحوه مركزاً ممتازاً كما كان اليابانيون والنازيون يؤلهون جيشهم . إنهم فى هذا البلد ينشّئون الأطفال هذه التنشئة العسكرية ، ويستعينون على هذا الغرض بجميع الوسائل التى تملكها الدولة . إنهم يطبعون كل شيء فى الدولة بطابع الروح العسكرية ، طابع الغزو والاستعمار[١] » .

قال بن غوريون فى مقدمة الكتاب السنوى لإسرائيل الذى صدر سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) : « إن إسرائيل لا يمكن أن توافق على إعادة فلسطين إلى أهلها العرب ، فالمشكلة الفلسطينية لا يمكن أن تحل إلا بالحرب ، والحرب هذه ستقرر مصير إسرائيل ، فإما زوالها وإما بقاؤها . ولكى ننتصر فى الحرب يجب أن نتفوق على البلاد العربية فواقاً عسكرياً ساحقاً » . وقال بن غوريون أيضاً فى مقدمة الكتاب السنوى الرسمى لإسرائيل لسنة (١٩٥١ — ١٩٥٢) : « إن الدولة تأسست فى جزء من أراضى إسرائيل فقط » . ووقف بن غوريون يوم ٧ تشرين الثانى ١٩٥٦ فى الكنيست وقال مزهواً : « إن الحملة على مصر كانت مهمة تاريخية ، وأن هذه المهمة تكللت بالنجاح التام وأدت إلى احتلال غزة وسيناء ،

---

(١) كان ذلك أمام المحكمة فى تل أبيب بتاريخ ١٩/٤/١٩٥١ .

وأن هاتين المنطقتين ليسا جزءاً من أرض مصر » ، ويقصد بذلك أنهما جزء من إسرائيل .

إن التوسع هدف متمم لتأسيس دولة إسرائيل ، فالصهيونية العالمية لم تستهدف تأسيس دولة إسرائيل فحسب فى هذه المنطقة الضيقة من أرض فلسطين ، بل تستهدف توسيع رقعتها من النيل إلى الفرات ، ولتكون وطناً قومياً يكفى جميع يهود العالم .

لقد استطاعت إسرائيل أن تتوسع عند بدء تأسيسها ، فاحتلت نحو (٢٠٠٠) ميل مربع من الأرض التى كانت مخصصة للعرب وفق قرار التقسيم[١] . وبعد عقد الهدنة بينها وبين الدول العربية أخذت الصهيونية العالمية تتحدث عن الحدود التاريخية للدولة ، فقال مناحيم بيغن[٢] زعيم حزب (حيروت) فى المؤتمر الصهيونى العالمى الخامس والعشرين الذى انعقد فى القدس خلال كانون الأول ١٩٦٠ م : « إن مساحة إسرائيل حالياً لاتتجاوز خُمس مساحة الأراضى الإسرائيلية ، وإن على يهود أن يعملوا للاستيلاء على الأخماس الأربعة الباقية وضمها إلى دولتهم . أما هذه الأخماس الأربعة فهى الضفة الغربية من الأردن وقطاع غزة والأردن بأكمله وشبه جزيرة سيناء وبعض مناطق البلاد العربية الأخرى المجاورة لفلسطين » .

وقال بن غوريون سنة ١٩٥٢ م . فى (كايفلند) بالولايات المتحدة الأمريكية : « إن كل يهودى يقيم خارج إسرائيل منذ تأسيسها يعتبر آثماً ومخالفاً لتعاليم التوراة » ، وهو يريد بذلك جمع كل يهود العالم فى إسرائيل،

---

(١) تبلغ مساحتها الآن نحو (٧٩٠٠) ميل مربع ، ولذلك فإن مساحة المنطقة التى احتلتها من المنطقة المخصصة للعرب وفق قرار التقسيم نحو ربع مساحتها الحالية .

(٢) رئيس المنظمة الإرهابية السرية (أرغون زفاى لومى) التى ارتكبت مجزرة دير ياسين وغيرها عام ١٩٤٨ .

فإذا كانت إسرائيل تضيق حالياً بسكانها وهم مليونان ، فكيف تتسع لحوالى أربعين مليوناً من يهود إذا لم توسّع إسرائيل رقعة أرضها على حساب الدول العربية المجاورة ؟

إن تهالك بن غوريون وغيره من حكام إسرائيل على حثّ يهود فى العالم للهجرة إلى إسرائيل ، سببه إيجاد حجة للتوسع الإسرائيلى وخلق الظروف الملائمة لذلك ، فهم يشعرون أن مستقبل إسرائيل رهن بتوسعها ونموّها .

ولن تستطيع إسرائيل التوسع بدون تفوق ساحق على العرب بالتسليح الذرى ، لأن جيشها الحالى بتسليحه التقليدى لن يتفوق فى حال من الأحوال على الجيوش العربية .

٣ — حماية نفسها والدفاع عن كيانها :

كان تأسيس دولة إسرائيل خطأ سياسياً وعسكرياً واقتصادياً . فمن الوجهة السياسية لايمكن تأسيسها قَسْراً وسط محيط عربى متجانس ، فإذا نام العرب والمسلمون ساعة فلن يناموا إلى قيام الساعة .

ومن الوجهة العسكرية ، فإنها لاتستطيع الدفاع عن نفسها ضدّ أعداء يحيطونها من كل جانب ، وهم يبلغون أضعافها نفوساً ومساحة وإمكانات ، فإذا كانوا ضعفاء ساعة فلن يبقوا كذلك إلى قيام الساعة .

ومن الوجهة الاقتصادية ، فإنها لايمكن أن تعيش إلى الأبد دولة صغيرة بين جيران يضربون حولها حصاراً اقتصادياً شديداً ويقاطعونها ويقاطعون كل من يتعامل معها .

هذه الأخطاء لا يمكن تصحيحها إلا بحرب أو حروب تنتهى بالقضاء

على إسرائيل ، أو بتحقيق أهدافها فتنمو وتتوسع على أسس جديدة أقل شذوذاً وأكثر ملاءمة مما هى عليه الآن .

إن الدفاع عن كيان إسرائيل سيؤدى بهذه الدولة إلى مهاجمة البلاد العربية ، ولن تستطيع التغلب على العرب ومن ورائهم المسلمون إلا بحصولها على السلاح الذرى .

(ب) الأهداف السياسية :

١ — إجبار العرب على الصلح مع إسرائيل :

هدف حيوى من أهداف السياسة الإسرائيلية لا بد لها من تحقيقه ، إذا أرادت التخلص من الوضع الشاذ الذى يستحوذ عليها منذ تأسيس دولة إسرائيل حتى الآن . فهى لاتستطيع أن تعيش إلى الأبد بين جيران يعادونها ويرفضون الاعتراف بها ويقاطعونها سياسياً واقتصادياً مقاطعة لاهوادة فيها ، ويهددون كيانها ويتربصون بها الدوائر .

لقد توقّع زعماء الصهاينة أن العرب سيرضخون الأمر الواقع بعد تأسيس إسرائيل ويعترفون بها ، ولكن الواقع أثبت عكس ذلك .

إن الحقد المقدس يزداد مع الأيام على إسرائيل ، وإن المسؤولين العرب يعرفون حق المعرفة أن من يفكر منهم بالاعتراف بإسرائيل أو مصالحتها يخسر مكانته بين شعبه وبين العرب وبين المسلمين ، وقد يخسر سلطانه وروحه أيضاً ، لذلك لن يعترف العرب بإسرائيل مختارين !

ولكى تجبر إسرائيل العرب على الصلح معها والاعتراف بوجودها ،

لجأت إلى وسائل العنف[١] ، فاعتدت منذ تأسيسها حتى سنة ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) عدة اعتداءات على الدول العربية المجاورة ظناً منها بأنها تستطيع إرهاب العرب وإرغامهم على الخضوع لمشيئتها ، ولكن اعتداءات إسرائيل لم تزد العرب إلا عناداً وحقداً على إسرائيل ورغبة فى الانتقام منها ، كما كان لها رد فعل شديد فى البلاد العربية ، أدى إلى يقظتها وتعزيز قواتها الرادعة لمجابهة إسرائيل .

ثم كانت مغامرة إسرائيل فى حرب السويس سنة ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦م) ، إذ زعمت أن (توازن القوى) بينها وبين العرب قد اختل ، وأنها ستخوض (حرباً مانعة)[٢] لكى تحول مقدماً دون هجوم الدول العربية عليها ، وكان هذا هو السبب الرئيس لعدوانها على مصر متعاونة مع بريطانيا وفرنسا .

غير أن مغامرة السويس لم تفشل فى تحقيق الأهداف التى توختها إسرائيل فحسب ، بل أحدثت نتائج معكوسة ، فكانت حافزاً جديداً دفع بالعرب إلى مضاعفة جهودهم فى سبيل النهوض والتحرر من ربقة الاستعمار والتخلف ، وأصبح العرب أشد عزماً وتصميماً على استرداد حقوقهم المشروعة فى الأرض المقدسة .

وفقدت إسرائيل الأمل فى إجبار العرب على الصلح معها والاعتراف بوجودها بالعنف الذى تنهض به الأسلحة التقليدية ، فاتجه تفكير حكام

---

(١) صرح بن غوريون مرة لمراسل إحدى محطات المذياع المصور (التلفزيون) الأمريكى: « إن العرب يهابون القوة » . قد صرح بمثل ذلك كثير من حكام إسرائيل . وبتأثير هذه العقلية عمد بن غوريون وغيره من حكام إسرائيل إلى الاعتداءات المتكررة على القرى العربية القريبة من حدود إسرائيل .

(٢) (**Preventive war**) .

إسرائيل إلى إنتاج السلاح الذرى الذى به يجبرون العرب على الصلح ، فيكون بذلك صلح العرب استسلاماً لا سلاماً .

غير أن حكام إسرائيل لم يتوقفوا عند هذا الحد ، بل أخذوا يتاجرون بنياتهم السلمية فيتشبثون بشتى الوسائل لاكتساب عطف الدول الكبرى شرقية[1] وغربية على إسرائيل بالتظاهر علناً بنياتها السلمية وبالعمل سراً لإنتاج السلاح الذرى ، ولكن أى سلام يمكن أن تقتنع به الدول العربية ، وهناك أكثر من مليون لاجىء عربى بعيدين عن وطنهم المغتصب فلسطين ؟؟!! بل كيف يمكن أن يرضى العرب ببقاء إسرائيل فى أرضهم ، ولن ينالوا حظهم من الحياة بوجود هذه الدولة بين ظهرانيهم ...

إن إنتاج السلاح الذرى فى إسرائيل ، سيكون عاملا فى تفوق إسرائيل السياسى على العرب إذا بقى العرب محرومين من هذا السلاح الرهيب . وسيؤمن هذا السلاح لإسرائيل المبادرة بالعمل ويساعدها على التلويح باستخدامه ضد الدول العربية وتهديدهم به عند سنوح الفرص ، وذلك لتحقيق أهدافها السياسية بدون قتال .

كما أنه سيكون سلاحاً رادعاً يضمن سلامة إسرائيل ويحول دون إقدام الدول العربية على مهاجمتها ، وقد يؤدى ذلك إلى تثبيط عزائم (بعض) العرب وحملهم على الاعتراف بالأمر الواقع .

٢ — رفع مكانتها السياسية بين دول العالم :

إنتاج إسرائيل للسلاح الذرى ، يرفع مكانتها الدولية بين دول العالم ،

---

(١) أذاعت محطة موسكو مقالا لجريدة برافدا يوم ١٩٦٦/٣/١٢ ، تؤيد فيه إقرار السلام فى الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل ، وقد صرح سفير روسيا فى إسرائيل بذلك التاريخ مايؤيد ذلك ، فلما حاول بعض مراسلى الصحف والإذاعات العربية الاستفسار من سفراء روسيا فى البلاد العربية عن سر هذا الاتجاه رفضوا الجواب .

فمكانة فرنسا قبل أن تكون دولة ذرية غير مكانتها بعد أن أصبحت دولة ذرية ، وما يقال عن فرنسا يقال عن الصين الشيوعية أيضاً .

لقد كانت (القوة) ولا تزال وستبقى ، لها أعظم الأثر على المكانة السياسية لأية دولة فى العالم ، فالقوى محترم دائماً ، والضعيف مهان دائماً ، وكل زعم يخالف ذلك خيال وهراء .

٣ — الدعاية لإسرائيل :

ستتخذ إسرائيل من إنتاجها السلاح الذرى وسيلة مؤثرة للدعاية عن فنها الصناعى والعلمى ، وستجعل مؤسساتها الذرية مركزاً لتدريب علماء الدول الآسيوية[1] والإفريقية ودول أمريكا اللاتينية . وقد نجحت إسرائيل مع الأسف فى تأسيس علاقات سياسية واقتصادية وثقافية وعسكرية مع بعض دول آسيا وإفريقية وأمريكا اللاتينية علاوة على علاقاتها مع الدول الغربية ، واستطاعت أن تكسب بشتى الوسائل ثقة هذه الدول وإعجابها .

فإذا ما استطاعت إنتاج السلاح الذرى ، فإن الدول المذكورة ستزيد من اعتمادها على إسرائيل ، وبذلك تكسب دعماً سياسياً من تلك الدول : يؤيدون قضاياها السياسية ، ويقفون إلى جانبها على الدول العربية فى المحافل الدولية .

---

(١) كما يجرى ذلك فعلا الآن وقبل بضع سنوات .

— ٥ —

واجب الدول العربية

(١) التدابير العسكرية :

أولا : الحصول على السلاح الذرى بأية وسيلة كانت وبسرعة ، وذلك لتقليل المدة التى ستكون خلالها إسرائيل متفوقة علينا بهذا السلاح . لقد نجحت إسرائيل بإقناع فرنسا لتزويدها بالأسرار والمواد الذرية ، فلماذا يعجز العرب عن إقناع إحدى الدول الذرية لتزويدهم بتلك الأسرار والمواد ؟!

ثانياً : الإسراع بإنشاء الأفران الذرية الكبيرة لإنتاج البلوتونيوم أو غيره من العناصر القابلة للانفجار . ويجب أن تكون الطاقة الإنتاجية لهذه الأفران مساوية على الأقل للطاقة الإنتاجية للفرن الذرى الإسرائيلى الجديد .

وبالنظر لتكاليف الفرن الذرى وصعوبة إيجاد العناصر الفنية للعمل فيه، فلا بد أن تشارك فى نفقات الأفران والمواد الذرية جميع الدول العربية ، ويجرى العمل لتحقيق ذلك بإشراف القيادة العربية الموحدة .

ويجب أن تنشأ بالاضافة إلى ذلك المعامل الفرعية الأخرى اللازمة لإنتاج السلاح الذرى ، كالمعمل الكيماوى الضرورى لفصل البلوتونيوم بعد إنتاجه ، ومعمل الماء الثقيل . . . الخ

ثالثاً : إعادة النظر فى تنظيم وتدريب وتجهيز الجيوش العربية لجعلها

ملائمة لحرب ذرية ، وذلك أسوة بما فعلته بعض دول العالم وما تفعله دول كثيرة الآن .

إن إنتاج السلاح الذرى أثر على تنظيم الجيوش وعلى تدريبها وعلى تجهيزها ، فلا بد من اقتباس كل هذه الأمور الحيوية من الدول القوية الأخرى .

رابعاً : تعليم المدنيين فى الدول العربية حقائق الحرب الذرية وأساليب الوقاية منها والدفاع ضد أخطارها ، وجعلهم يتهيأون فكرياً لحرب ذرية لئلا يفاجأوا بها على حين غرة منهم فتنهار معنوياتهم عند نشوبها .

إن الحرب الذرية تتطلب من الشعوب معنويات عالية لتصبر على الضر ، وتتحمل الكوارث ، وتصمد تجاه الخطوب ، ومن أهم عوامل رفع المعنويات هو التمسك بالدين الحنيف .

خامساً : الاهتمام بتدابير الدفاع السلبي ضد أخطار الحرب الذرية ، كإنشاء الملاجىء وتهيئة فرق المطافىء وتدريبها ، وتحاشى الإسكان المزدحم فى المناطق الصناعية التى يحتمل أن تكون هدفاً مفضلا الأسلحة الذرية ، وتوزيع المنشآت الصناعية فى مناطق متباعدة داخل البلاد ، والاستفادة من العوارض الطبيعية كالجبال لحماية تلك المنشآت وخزن الأسلحة والعتاد فى تلك العوارض ، واتخاذ التدابير لحماية مشاريع الماء والكهرباء والغاز والمواصلات ومنابع البترول وغيرها من الأهداف الملائمة للقصف الذرى .

سادساً : مراقبة التسلح الذرى الإسرائيلي مراقبة دقيقة ، والحصول على المعلومات عنه باستمرار . إن إسرائيل مفتوحة العينين دائماً ، أما العرب ؟ !

سابعاً : وضع خطة عسكرية موحدة للبلاد العربية لمجابهة الخطر الذرى الإسرائيلى وإحباطه ، وهـذه الخطة هى من أول وأهم واجبات القيادة العربية الموحدة .

(ب) التدابير العلمية :

أولا : حشد الكفايات العلمية العربيـــة أولا والكفايات العلمية الإسلامية ثانياً ، والاستفادة من خبراء العالم فى الذرة ـــ خاصة من الدول المحايدة والدول غير الاستعمارية والدول غير الذرية ، وجعلهم يعملون ليلا ونهـاراً بإشراف المؤسسات العلمية العربية والجامعة العربية والقيـادة العربية الموحدة .

ثانياً : إرسال البعوث من البلاد العربية حسب خطة مرسومة للتخصص فى الدراسات الذرية فى الجامعـات الأجنبية والاهتمام بالعلوم الذرية فى الجامعات العربية ، وفتح جامعة خاصة لشؤون الذرة تموّل من الدول العربية كلها ويُشرف عليها قسم الدراسات العليا فى الجامعة العربية .

لقد أصبح لدى العرب كثير من الأدباء ورجال القانون ورجال التربية وعلم النفس . . . الخ ، أما علماء الذرة فما أقلهم .

ثالثاً : الاهتمام بسلاح الصواريخ وتطويره ، فقد تقدم هذا السلاح تقدماً عظيماً للحاق بالتقدم الذرى ، وسيلعب هذا السلاح دوراً كبيراً فى حروب المستقبل . إن الشروع فى تهيئة الخبراء والفنيين لإنتاج هذا السلاح ، مهم جداً وضرورى للغـاية إذا أرادت الدول العربية أن تجارى دول العـالم الأخرى فى هذا المضمار .

وبالعلماء وحدهم تستطيع الدول العربية أن تطوِّر هذا السلاح وتُنتجه على نطاق واسع متكامل .

رابعاً : البحث عن اليورانيوم والثوريوم[١] (Thoriom) فى البلاد العربية واتخاذ التدابير اللازمة لاستخراجهما .

إن العثور على هذين العنصرين سيكون مصدر قوة عسكرية وثروة اقتصادية كبيرة للبلاد العربية[٢] . وفى البلاد العربية كما ثبت للخبراء كميات لا يستهان بها من هذين العنصرين ، فقد اكتشفا فى مناطق معينة من البلاد العربية ، ولا تزال بعض تلك البلاد بكراً لم يحاول أحد التنقيب فيها عن هذين العنصرين وعن غيرهما من العناصر الحيوية حتى اليوم .

والعلماء وحدهم هم الذين يستطيعون أن ينقبوا عن هذين العنصرين وعن غيرهما من العناصر الأخرى .

(ج) التدابير السياسية :

أولا : القيام بحملة واسعة النطاق فى جميع أنحاء العالم ، لإظهار إسرائيل أمام الرأى العام العالمى دولة تنوى للعدوان بإقدامها على التسلح الذرى ، فى زمن تطالب فيه شعوب العالم بالسلام وتحريم الأسلحة الذرية وإيقاف تجاربها .

---

(١) عنصر يشبه اليورانيوم ، ويمكن الاستفادة منه لصنع الأسلحة الذرية بطرق مماثلة للطرق التى تستخدم للاستفادة من اليورانيوم .

(٢) جاء فى مقال للأستاذ فوزى الشتوى نشرته « الأهرام » القاهرية ، أن اليورانيوم موجود فى الفيوم وسيناء وفى سورية .

ومن المؤسف حقاً ، أن نجد أكثر السفارات العربية فى البلاد الأجنبية تقف موقف المتفرج بدون حراك من نشاط إسرائيل فى شتى المجالات .

إن خطباء إسرائيل يعملون ليلا ونهاراً فى (هايد بارك) من لندن للدفاع عن قضيتهم ، ولم أجد خطيباً عربياً واحداً يدافع عن حقوق العرب هناك ، فهل يكون يهود أحرص فى الدفاع عن باطلهم من العرب فى الدفاع عن حقهم ؟ !

ونشاط إسرائيل ملحوظ فى الهيئات الدولية وفى المؤتمرات العالمية ، أما العرب ؟ ؟ ! !

ثانياً : استغلال نيات إسرائيل العدوانية هذه لإقناع الدول الآسيوية والإفريقية ودول أمريكا اللاتينية والدول غير المنحازة والدول غير الاستعمارية التى تتعامل مع إسرائيل الآن ، بالكف عن هذا التعامل . وإذا أمكن إغراؤهم بالتدريب فى المؤسسات الذرية العربية بدلا من التدريب فى المؤسسات الذرية الإسرائيلية ، فذلك يؤدى إلى إحباط خطط إسرائيل لاستمالة هذه الدول وجعلها تحت كنفها بما تقدمه إليهم إسرائيل من عروض مغرية لتدريب رجالهم فى مؤسساتها الذرية .

ثالثاً : إن مساهمة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا فى خلق إسرائيل وفى إغداق المساعدات المادية والمعنوية عليها منذ تأسيسها حتى اليوم ، يُلقى على عاتق هاتين الدولتين مسؤولية أدبية . كما أن مساعدة فرنسا لإسرائيل علناً بالمواد الذرية وتشييد فرنها الذرى الجديد والمعامل الذرية الأخرى ، يلقى على عاتق هذه الدولة مسؤولية أدبية أيضاً .

إن إثارة موضوع إنتاج إسرائيل للسلاح الذرى من العرب على هذه الدول بالوسائل السياسية وعلى نطاق المنظمات الدولية للحصول منها على

ضمانات كافية حول منع إسرائيل من إنتاج السلاح الذرى ، وإصدار هذه الضمانات ببيان ينشر ويذاع فى العالم ، والحصول على وعد من هذه الدول بقطع مساعداتها المالية والاقتصادية عن إسرائيل فى حالة استغلال فرنها الذرى الجديد لأغراض التسلح الذرى .

إن هذه الدول وحدها تستطيع إيقاف إسرائيل عند حدها إذا شاءت ، ومطالبة العرب لها بالضمانات عمل مشروع تؤيده كل الدول المحبة للسلام ، ولا تستطيع هذه الدول أن تتنصل منه ، وإلا كشفت أوراقها علانية بأنها هى التى تشجع إسرائيل على الاعتداء بالسلاح الذرى من أجل التوسع على حساب الدول العربية .

يجب إقناع هذه الدول بأن تقديم هذه الضمانات سيخدم مصالحها بالذات فى البلاد العربية وفى دار الإسلام ، ويزيل الشكوك التى تساور النفوس فى نياتها المستورة تجاه منطقة الشرق الأوسط ، كما تخدم هذه البيانات قضية السلم العالمى .

رابعاً : القيام بحملة سياسية فى البلاد الغربية عامة وفى الولايات المتحدة خاصة ضد جمع التبرعات لإسرائيل وشراء سندات القرض الإسرائيلى ، باعتبار أن هذه الأموال التى تجمعها إسرائيل تصرف على قضايا التسلح الذرى الذى يهدد السلام العالمى بأفدح الأخطار .

إن إطلاع شعوب تلك الدول على نيات إسرائيل العدوانية ، وأن ما تقدمه من تبرعات تستخدم لإنتاج السلاح الذرى ، وأن استخدام إسرائيل ضد العرب لهذا السلاح يمكن أن يؤدى إلى حرب عالمية ثالثة لا تُبقى ولا تذر ، كل ذلك سيقلل من حماسة تلك الشعوب واندفاعها للتبرع بالمال الوفير لإسرائيل .

خامساً : قيام الدول العربية بمضاعفة جهودها للدعوة إلى نزع السلاح الذرى ومنع تجاربه ، وذلك فى المحافل الدولية وفى المؤتمرات الدولية ، وأن تركز جهود وفودها لمثل هذه القضايا الحيوية التى هى قضايا مصيرية بالنسبة للعرب ، وألا نشغل تلك الوفود بقضايا جانبية لا ناقة للعرب فيها ولا جمل ولا تمس المصير العربى من قريب أو بعيد .

سادساً : السعى لاكتساب تأييد الدول الإسلامية خاصة ودول عدم الانحياز عامة ، لتأييد العرب فى إيقاف التسلح الذرى الإسرائيلى .

إن شعوب الدول الإسلامية تؤيد العرب فى إنقاذ الأرض المغتصبة من فلسطين ، وأكثر الدول الإسلامية تؤيد هذا الاتجاه أيضاً ، ولعل موقف الشهيد أحمدو بللو معروف فى تأييده العميق لاستنقاذ أرض فلسطين من الصهاينة ، كما أن موقف الباكستان لا يقل روعة وحمية عن موقف الشهيد أحمدو بللو ، ولقد سمعت المشير أيوب خان يقول : « عندنا مشكلتان : مشكلة فلسطين ، ومشكلة كشمير ، ولمشكلة فلسطين أسبقية عندنا على مشكلة كشمير . إننا لن نعترف بإسرائيل حتى ولو اعترف بها العرب ! » .

أما الدول الإسلامية التى لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع إسرائيل ، فهى موضع استنكار شعوبها قبل أن تكون موضع استنكار العرب أنفسهم ، لذلك استعدى شعوب تلك الدول على حكوماتها ، لتصحح انحراف حكوماتها وتعيدها إلى الطريق السوى .

إن الحكومة الإسلامية التى تكون لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بإسرائيل ، عليها أن تخرج من حظيرة المسلمين وتختار لها ديناً غير الإسلام ، لأن المؤمنين إخوة ، والمؤمن أخو المؤمن ، وليس من الأخوة فى شىء أن

تدعم دولة إسلامية إسرائيل مادياً أو معنوياً ضد أخواتها الدول العربية المسلمة .

سابعاً : إنتاج العرب للسلاح الذرى يحتاج إلى تعاونهم المطلق ، فهذا يحتاج إلى نفقات باهظة ليست فى طاقة دولة عربية بمفردها أن تنهض بها .

وهذا السلاح يحتاج إلى كثير من العلماء والخبراء ، لا تستطيع دولة عربية بمفردها أن تيسِّرهم للعمل المجدى المفيد .

كما أن القضاء على إسرائيل ، يحتاج إلى تعاون جيوش الدول العربية كلها للإطباق على إسرائيل من كل جانب .

إنه من الواجب إسناد القيادة العربية الموحدة إسناداً كاملا من الدول العربية ، والتشكيك فيها لايخدم غير إسرائيل ، فقد كان من أهم أسباب فشل العرب فى حرب إسرائيل سنة ١٩٤٨ م هو عدم وجود قيادة عربية موحدة .

ومن واجب العرب أيضاً التعاون الصادق العميق فيما بينهم لإنتاج السلاح الذرى ، وهذا التعاون يجب أن يوضع نصب عيون قادة العرب ويكون فوق الاختلافات والمهاترات .

إن الوحدة العربية هى الطريق التى توصلنا إلى إنتاج السلاح الذرى بأسرع وقت ممكن ، وهى التى تقضى قضاءً مبرماً على إسرائيل .

(١) إن تيسر السلاح الذرى لإسرائيل يُقلل من قيمة الأسلحة التقليدية التى تتيسر فى الجيوش العربية . فإذا تيسر لإسرائيل قنبلة ذرية

واحدة — مثلا — من عيار (٢٠) كيلو طن وأرادت أن تقصف بها هدفاً سوقياً (ستراتيجياً) عربياً ، فإنها ستؤثر فيه تأثيراً مماثلا لما تحدثه عشرون ألف طائرة قاصفة لو اشتركت جميعها فى الغارة على نفس الهدف ورمت كل طائرة منها طناً من القنابل .

فإذا علمنا أن مجموع طائرات القوات الجوية العربية كلها لايكاد يبلغ هذا العدد الضخم من الطائرات ، أدركنا مدى التفوق من حصول إسرائيل على السلاح الذرى .

(ب) إن عزوف بعض العرب عن بحث هذا الموضوع الخطير ، بحجة أن الخطر الذرى الإسرائيلى وهمٌ من الأوهام ، هو تهرب من الحقيقة وتملص من مواجهة الواقع ، وهو تكرار مؤسف للأسلوب التقليدى للعرب فى الاستهانة بالخطر وتقليل أهميته وعدم الاكتراث به ، هذا الأسلوب الذى يتحمل مسؤولية تاريخية فى ضياع فلسطين .

لقد دخلت الجيوش العربية فلسطين عام ١٩٤٨ م ، وكان كل فرد من أفرادها يؤمن بأنه قادر وحده فقط على إلقاء إسرائيل فى البحر . لقد استهانوا بيهود فلم يحصلوا على المعلومات اللازمة عنهم ، فماذا كانت النتيجة ؟؟

إن منطق القضايا العسكرية ، يحتم حساب أسوأ الاحتمالات عن العدو ، لاتخاذ أدق التدابير لمجابهته ، أما أن نشبع العدو شتماً ثم لانفعل من أجل القضاء عليه شيئاً ، فذلك من مصلحة العدو نفسه ، لأننا بذلك نغش أنفسنا ونخدرها ، فنوفر على العدو مهمة غشنا وتخديرنا .

(ح) ومن وسائل تخدير النفس ، مايردده بعض المسؤولين عندنا عن

قرب تحريم الأسلحة الذرية ، وإصرار الهيئات الدولية على عدم استخدام الطاقة النووية فى الحرب .

والمؤمن لا يُلدغ من جُحْرٍ[1] مرتين ، إلا العرب فيلدغون ألف مرة من جحر واحدة ثم لايتوبون ولا هم يذّكرون .

أى قرار من قرارات هيئة الأمم المتحدة نفذته إسرائيل ؟ وأى أمر من أوامر مجلس الأمن نفذته إسرائيل ؟

وحين قتل يهود الكونت برنادوت ممثل هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن فى فلسطين ، فماذا استطاعت الهيئات الدولية أن تعمله تجاه إسرائيل ؟ ؟

إن إسرائيل لاتستخدم سلاحها الذرى ضد العرب فى حالة واحدة فقط ، تلك الحالة هى أن يكون لدى العرب سلاح ذرى أيضاً ، وهذا هو المنطق العسكرى السليم .

فى سنة ١٩٣٦ م كان هناك حرب بين الإيطاليين والأحباش فى الحبشة ، وقد استعمل الإيطاليون الغازات السامة ضد الأحباش ، لأن الإيطاليين كانوا يملكونه ، والأحباش لم يكونوا يملكونه ، أما فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) فلم يُستعمل الغاز السام ، لأن الطرفين كانوا يملكونه .

وفى سنة ١٩٤٥ م استخدم الأمريكيون السلاح الذرى ضد اليابان ،

---

(١) الجحر : حفرة يأوى إليها الحيوان وصغار الحيوان . (ج) : جحور وأجحار وجحرة .

لأن اليابانيين لم يكونوا يملكون هذا السلاح ، أما اليوم فلا تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية استعمال السلاح الذرى ضد روسيا كما لا تستطيع روسيا استعماله ضد الولايات المتحدة الأمريكية ، لأن الدولتين لديهما هذا السلاح .

إن الرادع الوحيد لإسرائيل الذى يحول دون استعمال السلاح الذرى ضد العرب ، هو أن يصبح هذا السلاح فى حوزة البلاد العربية .

أما أن يكون هذا السلاح فى حوزة إسرائيل ، ولا يكون فى حوزة العرب ، فليس هناك قوة مادية أو معنوية فى الأرض تردع إسرائيل عن استخدامه ضد العرب فى الوقت والمكان المناسبين .

مرة ثانية ، هذا هو منطق الحرب ، وهو منطق واقعى يرتكز على تاريخ الحرب ويستند على المنطق السليم .

أما العاطفة ، أما الخيال ، أما الحماسة المتأججة ، أما الخطب الرنانة ، أما القصائد الرائعة ، فلها مكان آخر غير ساحات الوغى التى تتقرر فيها مصائر الأمم والشعوب .

(د) وهنا أريد أن ألفت النظر إلى خطأ شائع حتى عند بعض العسكريين مع الأسف الشديد ، هو أن بالإمكان قصف المؤسسات الذرية الإسرائيلية عند الحاجة بالطائرات .

والواقع أن هذا القصف قد يؤثر على بيوت العمال والمقاهى والأندية المحيطة بالمؤسسات الذرية ، ولكن هذا القصف لا يؤثر مطلقاً على الأفران الذرية أو معامل إنتاج الماء الثقيل ، لأنها إما أن تكون تحت الأرض ، أو تكون بدرجة من القوة لا يؤثر معها القصف بالقنابل التقليدية .

إن المؤسسات الذرية لا يؤثر عليها غير السلاح الذرى ، فليكن ذلك مفهوماً عند العسكريين وعند غير العسكريين على حد سواء .

والذى ينفق على المؤسسات الذرية مليارات الجنيهات ، لن يتركها طعمة للقصف الجوى بالقنابل التقليدية ، ولو كان الأمر بهذه السهولة لما أبقت الولايات المتحدة مؤسسات الصين الشيوعية الذرية على وجه الأرض لحظة واحدة .

إن المؤسسات الذرية تُنسف بالأسلحة الذرية ، ومعنى ذلك أن تحدّى السلاح الذرى الإسرائيلى لن يكون إلا بالسلاح الذرى العربى .

(هـ) إن إسرائيل أصبحت مصدّرة لكثير من أنواع الأسلحة وعتادها ، فقد صدّرت العتاد والسلاح إلى كثير من الدول الإفريقية والآسيوية وحتى الأوروبية والأمريكية ، ودرّبت كثيراً من ضباط ومراتب هذه الدول فى مؤسساتها العسكرية .

ماذا يصنع رئيس دولة إسرائيل فى نيبال[1] ؟؟ ماذا يصنع رئيس أركان الجيش الإسرائيلى فى أقطار جنوب شرقى آسيا وفى أقطار الشرق الأقصى من آسيا ؟

إن الإنصات إلى خطب التكريم فى هاتين الجولتين خلال هذا الشهر ، يكشف النقاب عن أسرار هذه الجولات !

صفقات أسلحة ، وصفقات عتاد ، وتبادل الخبرات العسكرية . . . ودعوات لشهود دورات عسكرية ، وتدريب عسكرى ! !

---

(١) جرت أمامه مظاهرة إسقاط قطعات المظلات يوم ٢١ / ٣ / ١٩٦٦ بقيادة ضابط إسرائيلى .

إن إسرائيل اليوم تحتاج إلى بعض أنواع الأسلحة الثقيلة وبعض أنواع الدروع والطائرات .

أما الأسلحة الأخرى ، فإنتاجها منها يكفيها ذاتيـاً ويفيض عن حاجتها ، ومن كان فى ريب من ذلك ، فليسأل من أين يجهز جيش بورنيو ، وما هى قصة صفقة الأسلحة والعتاد للهند فى أثناء حربها الباكستان ؟ !

وكل ذلك يدلنا بوضوح إلى طريق النصر . إنه الوحدة العربية تحت لواء الاسلام ، لتكون كل طاقات العرب المادية والمعنوية من أجل القضاء على إسرائيل .

إن القيادة العربية الموحدة خطوة موفقة فى طريق القضاء على إسرائيل ، وميثاق التضامن العربى خطوة أخرى ، فقوّة كل قطر عربى قوة للأقطار العربية كلها وضعفه ضعف لها ، فليس من مصلحة العرب أن يشتم بعضهم بعضاً ، لأن ذلك من مصلحة إسرائيل ومصلحة الاستعمار .

ولكن لماذا نجعل مشكلة فلسطين مشكلة عربية فحسب ؟ إنها ليست مشكلة العرب وحدهم ، ولكنها مشكلة المسلمين فى كل مكان : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله »[1] .

إن خطر إسرائيل فى ازدياد ، وإنها تريد أن تتوسع على حساب البلاد العربية ، فإذا كانت اليوم تقبع فى بقعة صغيرة من أرض فلسطين ، فهى تريد غداً أن تمتد من النيل إلى الفرات .

إنها ركيزة الاستعمار فى بلاد العرب اليوم ، وستكون ركيزة الاستعمار فى دار الاسلام غداً ، إذا لم يُقض على الخبث قبل أن يستفحل أمره .

---

(١) أنظر كتاب : خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية (٤٠٥ ــ ٤٠٦)

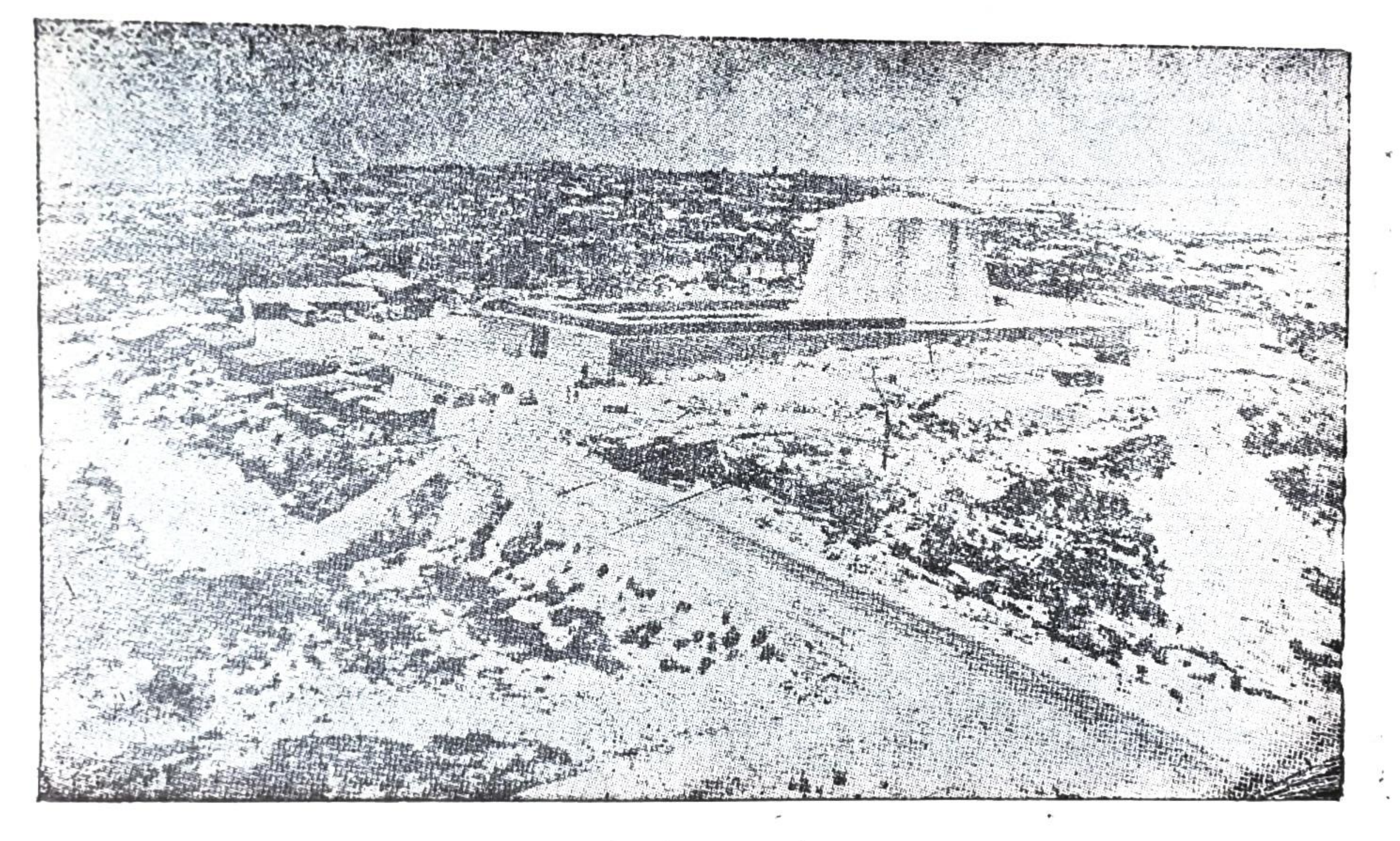
حرام علينا أن نلهو بأمور جانبية تافهة ونترك الخطر الأكبر ، فحذار حذار من مخططات إسرائيل الجهنمية ، وقد أعذر من أنذر[1] !

(١) أذاعت محطات الاذاعة العالمية أن الولايات المتحدة الأمريكية أجرت تفتيشاً فى الفرن الذرى الإسرائيلى الكائن فى (ديمونا) فى منطقة بئر السبع . وقد جرى استجواب للحكومة الاسرائيلية عن ذلك فى (الكنيست) . ولكن رئيس وزراء إسرائيل كذب ذلك فى جوابه على ذلك الاستجواب يوم ١٩٦٦/٧/٥ ، فنفى أى تفتيش من أية دولة فى فرن « ديمونا » الذرى .

لماذا أذاعت محطات الإذاعة العالمية ، ومنها محطات الإذاعة العربية خبر هذا التفتيش ؟

ولماذا كذبته إسرائيل !

ألا يدل كل ذلك أن هناك أموراً وراء الأكمة ، لا بد أن يعيرها العرب كثيراً من الحذر وكثيراً من اليقظة ؟؟!!



الفرن الذرى الصهيونى

أسباب النصر

أسباب عامة

— ١ —

لماذا خلقت إسرائيل ؟

خلقت إسرائيل فى جزء عزيز من أرض العرب ، بعد محاولات طويلة بذلتها الصهيونية العالمية منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٤٨ .

وصادفت محاولات الصهيونية العالمية هوى فى نفوس الدول الاستعمارية وغير الاستعمارية أيضاً ، تحقيقاً لصالح تلك الدول فى منطقة الشرق الأوسط خاصة وفى البلاد العربية عامة .

لقد لاحظ الاستعمار بحق أن العرب قوة ضخمة بدأت تتحرك بعد الحرب العالمية الثانية ، وأنهم يهدفون إلى طرد الاستعمار من بلادهم عاجلا أو آجلا ، وأن العرب إذا وجدوا طريقهم واستيقظوا من نومهم الذى طال قروناً وساروا على الدرب السوى سيصبحون قوة ضاربة تهدد الاستعمار ومصالحه فى هذه المنطقة الحيوية من العالم .

وإذا كان الاستعمار قد رحل غير مأسوف عليه من أكبر البلاد العربية ؛ فلا بد للاستعمار من إيجاد (أحبولة) جديدة يقضّ بها مضاجع العرب ، ليضمن مصالحه الحيوية ويصونها من الضياع .

كان خلق إسرائيل فى أرض فلسطين إذاً ، مصلحة من مصالح الاستعمار ، فكيف حققت إسرائيل مصالح الاستعمار ؟

إن إسرائيل قاعدة للاستعمار فى بلاد العرب ، يستطيعون الركون إليها فى الحرب والسلم على حد سواء .

مطارات إسرائيل وموانيها ، حاضرة لتقبل الأساطيل الجوية والبحرية للدول الاستعمارية فى أثناء الحرب .

وعندما أممت الجمهورية العربية قناة السويس ، كانت إسرائيل قاعدة ضخمة من قواعد البريطانيين والفرنسيين للهجوم على مصر .

كما أن فرنسا وبريطانيا ، تآمرتا مع إسرائيل على الجمهورية العربية المتحدة ، فى الاعتداء على مصر .

وإسرائيل فى أيام السلم تهديد مباشر للعرب ، وسلاح بيد الاستعمار يشهره على الأمة العربية ويهددها به عند الحاجة .

ووجود إسرائيل يجعل العرب يخصصون أكثر ميزانياتهم للجيوش العربية ، وكان بإمكان العرب لولا وجود إسرائيل بذل هذا المال فى سبيل التعمير والتعليم والتصنيع .

كما أن إسرائيل بعد خلقها ، لم تبق مكتوفة الأيدى تجاه البلاد العربية ، والذين يدققون فى الأمور يجدون إسرائيل وراء أكثر ما تعانيه الدول العربية من مشاكل واختلاطات .

إن الاستعمار خرج من باب البلاد العربية ، ولكنه عاد من نافذة إسرائيل .

فلا عجب أن يردد المستعمرون : إن إسرائيل ولدت لتعيش ! !

ذلك لأن بقاءها من صالح الاستعمار ، والسياسة كلها مصالح .

— ٢ —

وضوح الهدف

لاحرب بدون هدف واضح ينبغي معرفته معرفة كاملة ، والعمل على تحقيقه بكل إمكانات العرب المادية والمعنوية .

فما هو هدف العرب من حرب إسرائيل ؟

إنه بإيجاز : تحطيم إسرائيل مادياً ومعنوياً ، ليعود للعرب حقهم المغتصب فى أرض فلسطين .

ولتحقيق هذا الهدف ، يجب أن يعتمد العرب على أنفسهم أولا وقبل كل شيء ، ذلك لأن المعسكر الغربى مع إسرائيل علنا والمعسكر الشرقى مع العرب بالكلام فقط .

إن العرب مدعوون لتحمل أعباء الحرب ضد إسرائيل وحدهم ، وهم مدعوون أن يستعدوا لهذه الحرب استعداداً كاملا دقيقاً لينتصروا فى معركة الثأر القادمة .

— ٣ —

اللغة التى تفهمها إسرائيل

اللغة التى تفهمها إسرائيل ، هى القوة ولا شيء غير القوة .

إنهم جبناء ، ومن صفات الجبان أن يكون أقوى الأقوياء عندما يرى خصمه ضعيفاً أو متخاذلا .

أما إذا وجد الجبان خصمه قوياً ، فإنه يتلاشى أمامه ويذوب ، ويبذل من كرامته وشرفه وعزته لخصمه ما يشاء حتى يرضى خصمه ويكف عنه .

ويهود ماديون أيضاً ، وقصف المدافع بالقنابل لمدنهم وقراهم ومستعمراتهم يؤدى إلى تخريبها ، فيجد اليهودى نفسه فجأة بلا دار ولا دينار ، وكل ذلك حياته التى يعيش بها ومن أجلها .

فكيف يستطيع الحياة بدونها ، وكيف يصبر على فقدانها ؟

إن إسرائيل أصبحت دولة ، لأن العرب لم يخاطبوها باللغة الوحيدة التى تفهمها وهى : الحرب .

ولكن الحرب وحدها لا تكفى ، إذا لم يتحمل رجالها جزية إرادة القتال .

— ٤ —

إرادة القتال

إرادة القتال معناها بإيجاز : الرغبة الأكيدة فى خوض الحرب من أجل مثل عليا وأهداف سامية ، وتحمل نتائج الحرب بذلاً للأموال والأنفس ، واستهانة بالمشاكل والعقبات ، وصبراً على البأساء والضراء ، حتى يتم تحقيق تلك المثل العليا والأهداف السامية ، مهما طال الأمد وبَعُدَ الشَوْط وكثر العناء وازدادت المصائب وسالت الدماء .

إرادة القتال إذاً : إيمان بهدف سام ، وجهاد فى سبيل هذا الهدف بالنفس والمال ، وثقة بأن هذا الهدف هو أحب وأعز وأغلى من الآباء والأبناء

والإخوان والزوجات والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن ، وصبر فى البأساء والضراء وحين اليأس .

وليس معنى إرادة القتال ، أنها عدوان وحب للحرب من أجل الحرب.

بل إنها دفاع عن النفس إذا بدأت ، يبدأ معها التصميم على النصر أو الشهادة .

أما التردد والخور ، وأما التفكير فى الخسائر المادية والمعنوية ، وأما النكوص عند وقوع الكوارث والنكبات ، فكل ذلك على طرفى نقيض من إرادة القتال .

إن الحرب معناها الخسائر بالأرواح والأموال والممتلكات ، ومعناها الدماء والعرق والدموع وليست الحرب نزهة أو ترفيهاً .

كما أن الحرب قد تطول سنين عديدة ، وقد تنتهى فى أيام فلا بد من توقع كل ذلك عندما تخوض أمة من الأمم غمار الحرب .

ولا يصح أبداً أن تنهار القادة أو تنهار الأمة ، حين يجدون حصيلة الحرب خسائر وأضراراً ، فذلك أمر طبيعى فى الحرب ، ونتيجة من نتائجها المألوفة ، بل يجب أن تجد القادة وتجد الأمة فى هذه الخسائر والأضرار حوافز عملية للتأكيد القاطع على الاستمرار فى الحرب حتى النهاية المشرفة .

اسباب لفلسطين

— ١ —

حكومة فلسطين

من أهم أسباب فشل الحكومات العربية قبل دخول الجيوش العربية فلسطين ، وفشل تلك الجيوش بعد دخولها فلسطين ، فى توجيه طاقات الفلسطينيين لحرب يهود دفاعاً عن بلادهم،هو عدم وجود حكومة فلسطينية تقود الفلسطينيين وتنظمهم وتعاون الجيوش العربية وتوجهها ، فضاعت المسؤولية ، وضاعت الجهود .

لقد كان للدول التى غزاها المحور فى الحرب العالمية الثانية واحتل بلادها، حكومات مؤقتة ، نظمت أبناء دولها فى الداخل والخارج ، وأسدت إلى بلادها خدمات لا تحصى .

فكيف تشكل حكومة فلسطين المؤقتة اليوم أو فى المستقبل القريب ؟

لا بد أن يكون للحكومة رئيس منتخب ، له وزراء للخارجية وللإعلام وللدفاع والمالية . . . ولا لزوم للتوسع فى التشكيلات الأخرى اقتصاداً فى النفقات .

وزير الخارجية، للاتصال بالخارج،وحضور المؤتمرات وإسماع صوت فلسطين فى الخارج .

ووزير الإعلام ، لتنظيم المعلومات عن قضية فلسطين فى الخارج والداخل ، وإطلاع العالم عليها أولا بأول بشكل منطقى سليم .

ووزير الدفاع ، لتنظيم الفلسطينيين عامة ، والعمل على تدريبهم وتجهيزهم وتسليحهم وتنظيمهم وقيادتهم .

ووزير المالية ، لتنظيم القضايا المالية لحكومة فلسطين .

ويكون لحكومة فلسطين ، مجلس نيابى منتخب ، كما يجرى فى المجالس النيابية فى العالم .

وتكون هذه الحكومة نداً للحكومات العربية الأخرى ، ولها مكانة فى الجامعة العربية وفى مؤتمرات الدول العربية الأخرى .

وأن يعامل رئيس حكومة فلسطين كما يعامل أى رئيس لأية حكومة عربية .

ونفقات هذه الحكومة على البلاد العربية بالنسبة لثرائها : الغنية ذات المساحة القليلة تقدم حسب ثرائها وبنسبة عكسية لمساحتها ، والفقيرة ذات المساحة الكبيرة ، تقدم حسب طاقاتها وبنسبة عكسية لمساحاتها ، وأن يكون العطاء واجباً من غير مَنٍ ولا أذى ، وأن يقدم هذا العطاء فى موعده بلا تسويف ولا مطل .

إن انبثاق حكومة فلسطين ضرورة حتمية لتتفرغ هذه الحكومة تفرغاً كاملا لتنظيم الفلسطينيين وتدريبهم وتسليحهم وتجهيزهم وقيادتهم ، لأن الحكومات العربية لها مشاكلها الخاصة بها ، فلا تستطيع التفرغ لواجبات إنقاذ فلسطين ، ولأن تدخل حكومة عربية واحدة فى أمر الفلسطينيين دون سواها سيؤدى إلى مشاكل ليست فى الحسبان ، كما أن تدخل حكومة واحدة أو إشرافها على الفلسطينيين يكاد يكون مستحيلا ، ولأن حكومة فلسطين تكون أدرى بمشاكل الفلسطينيين وأقدر على حلها من غيرها .

كان الواجب يقضى أن تكون حكومة فلسطين موجودة فى ١٥ مارس سنة ١٩٤٨ أو قبل ذلك ، فإذا كان عـــدم وجودها قد أدى إلى عواقب وخيمة منذ عام ١٩٤٨ حتى اليوم ، فلا بدّ أن يصحح المسؤولون فى البلاد العربيـة خطأهم اليوم ، فذلك وحـده هو الطريق السليم لمعـالجة مشاكل فلسطين والفلسطينيين .

— ٢ —

جيش فلسطين

لعل وزارة الدفاع لحكومة فلسطين ، هى الوزارة فى تلك الحكومة ، لأنها المسؤولة عن تنظيم وتجهيز وتسليح وتدريب وقيادة جيش فلسطين .

إن هـذا الجيش يتألف من الفلسطينيين ، فهم أحق النـاس باستعادة أرضهم المغتصبة .

وأشهد أن الفلسطينيين رجال شجعان أشداء ، وقد دوخوا يهوداً والإنكليز سنين طويلة قبل دخول الجيوش العربيـــة حرب فلسطين عام ١٩٤٨ .

وأشهد أنهم جنود لهم قابلية ممتازة على إتقان التدريب العسكرى وتعلم استعمال الأسلحة الخفيفة والثقيلة .

إن المنهاج التدريبى الذى يطبق على الجنود العرب فى الجيوش العربية — ومنهم جنود الجيش العراقى — فى سنة كاملة ، نجح الجنود الفلسطينيون فى استيعابه خلال ثلاثة أشهر ، ذلك لأن الفلسطينيين مثقفون ، لهم خبرة طويلة بأساليب القتال .

فكيف يجب أن يكون هذا الجيش ؟

من المهم أن تتولى قيادته العليا أيد قوية أمينة مخلصة له ماضٍ مجيد ، وكفاية عسكرية ممتازة ، ووطنية صادقة .

يجرى تدريب الجيش الفلسطيني — فى الوقت الحاضر — فى الدول العربية المضيفة ، جنباً إلى جنب مع الجيوش العربية . يدربون التدريب الفردى والإجمالى، ويتقنون أساليب القتال، ويشترك ضباطهم فى دورات الكليات العسكرية ومدارس الأسلحة الخفيفة والثقيلة والمدارس الفنية والادارية وفى كليات الطيران وكليات الأركان العربية .

وكل فلسطيني فى البلاد العربية ، يجب أن تطبق عليه خدمة العلم أسوة بشباب البلاد العربية التى تطبق فى بلادها قانون خدمة العلم .

كما يجب أن يدرب الفلسطينيون على أساليب حرب العصابات وأساليب قتال المدن والقرى ، لأن هذا التدريب ضرورى جداً لأهل فلسطين .

والخلاصة ، أن كل ضابط وجندى فلسطيني فى بلد عربى ما ، يجب أن يحظى بنفس التدريب النظرى والعملى الذى يحظى به ضابط وجندى ذلك البلد العربى سواء بسواء .

بل يجب أن يحظى الضابط والجندى الفلسطيني تدريباً خاصاً ، وهو تدريب المغاوير (Commando) العنيف ، حتى يستطيعوا إتقان حرب العصابات الخاطفة .

لقد آن الأوان أن يبعث جيش فلسطين قوياً متكاملا فى تدريبه وتسليحه وتنظيمه وتجهيزه وقيادته،إذ يجب الافادة من طاقات الفلسطينيين

الأبطال ، وحينذاك سيكون الجيش الفلسطيني مفخرة من مفاخر الأمة العربية ، وقوة ضاربة لإنقاذ الوطن السليب .

— ٣ —

منظمة تحرير فلسطين

لعل أهم ما أنجزته مؤتمرات القمة ، هو منظمة تحرير فلسطين .

هذه المنظمة كان يجب أن تظهر إلى الوجود منذ أمد بعيد ، ولكن الظروف العربية لم تكن على ما يرام بعد عام ١٩٤٨ ، فتأخر ظهورها حتى عام ١٩٦٤ .

ومن الممكن أن تنتخب حكومة فلسطين من هذه المنظمة ، فذلك هو الأمر العملي الواقعي الذي يعجل في ولادة حكومة فلسطين بأقرب وقت ممكن لتباشر واجباتها الجسام .

كما أن من الممكن أن ينتخب المجلس الوطني أو المجلس التأسيسي أو المجلس النيابي لحكومة فلسطين من هذه المنظمة ، فذلك هو الأمر العملي الواقعي الذي يعجل أيضاً في ولادة هذا المجلس بأقرب وقت ممكن ، ليباشر واجباته الجسام .

ومن هذا المجلس يمكن اختيار حكومة فلسطين بالانتخاب .

على كل، فقد تكون هناك آراء كثيرة في أسلوب اختيار المجلس النيابي الفلسطيني وحكومة فلسطين ، ولكن المهم هو ولادة هذا المجلس وهذه الحكومة بأقرب فرصة إلى حيز الوجود .

إن من حق منظمة التحرير الفلسطينية ، أن تنال الدعم والإسناد من كل عربي على النطاقين الحكومي والشعبي .

وكل عرقلة لأعمال هذه المنظمة، وكل تهاون في إسنادها ودعمها، وكل تشكيك في فائدتها وأمرها ، لا يخدم غير مصالح إسرائيل ومصالح من وراء إسرائيل .

ذلك لأن إسرائيل بذلك ولا تزال تبذل جهوداً جبارة في السر والعلانية ، للتهوين من شأن هذه المنظمة ، وللتقليل من قيمتها ، وللتشكيك في أمرها ، فلا يصح لعربي أن يكون عوناً لإسرائيل في هذا المجال .

يجب أن يكون هدف هذه المنظمة الذي لا تحيد عنه ولا تنساه ، هو إنقاذ فلسطين وإعادة أهلها إلى وطنهم السليب .

إن منظمة تحرير فلسطين عزيزة على قلب كل عربي ، وآمال العرب معقودة على جهودها ، فعسى أن تثبت وجودها ، وتكون عند مسؤولياتها ، فتحقق ما عقده العرب عليها من آمال كبار .

— ٤ —

الإعلام الفلسطيني

ليس هناك من يستطيع أن يدعي بحق ، أن أجهزة الإعلام العربية قامت وتقوم بواجباتها بصورة مرضية في إفهام العالم بحقيقة كارثة فلسطين وبالظلم الذي حاق بالعرب من جراء خلق إسرائيل في بلادهم .

وليس هناك من يستطيع أن يزعم ، بأن قضية (العائدين) معروفة في العالم على حقيقتها دون زيادة أو نقصان .

وعلى الرغم من النشرات والإذاعات التى تقوم بها بعض الحكومات العربية مشكورة ، فإن ذلك كان ولا يزال صرخة فى وادٍ بالنسبة لنشاط إسرائيل الإعلامى .

فى مثل هذا الموقف ، وفى مثل هذه الظروف ، يقع واجب ضخم على عاتق حكومة فلسطين ومنظمة تحرير فلسطين ، وهذا الواجب هو اختيار جماعة من ذوى الكفايات العالية من الفلسطينيين الذين يتميزون بالحماسة والخلق الكريم والعمل الدائب والمثابرة المستمرة والعلم والاتزان ، ليكون هؤلاء الدعامة الأولى فى الدول الأجنبية لاعلان الحقائق الدامغة عن قضية فلسطين .

وبإمكان مسؤول الإعلام الفلسطينيين التعاون مع السفارات العربية ، أو مع العناصر المخلصة الأمينة التى تقدر مسؤولياتها فى هذه السفارات من أجل تكامل واجباتها الإعلامية وتنفيذها على الوجه الأكمل الذى تستحقه قضية فلسطين .

ومن أحرى من أهل فلسطين بالذات وأحق بصد تيار أكاذيب إسرائيل وإعلان حقيقة إسرائيل وحقيقة عدوانها وحقيقة أوضاع العائدين .

— ٥ —

الى شعب فلسطين

كان الاستعمار فى فلسطين ، كما كان فى كل بلد آخر غير فلسطين ، يعمل بمبدأ : فرق تسد .

وكان من نتائج هذه السياسة ، أن الفلسطينيين أصبحوا أحزاباً وشيعاً وحمولات فى كل قرية وفى كل مدينة وفى كل منطقة من أرض فلسطين .

ولكن المصائب تجمع ، والنكبات ترص ، والكوارث تذيب الخلافات .

إن النكبة الكبرى فى فلسطين ، لابد أن تعمل عملها فى نفوس الفلسطينيين عامة ، فتجمع شملهم وترص صفوفهم ، وتجعلهم يتناسون أحقادهم الماضية إلى الأبد ، من أجل الهدف الكبير : استعادة الأرض المغتصبة من فلسطين .

إن منظمة تحرير فلسطين ، وحكومة فلسطين ، لا يمكن أن تضم كل الفلسطينيين أعضاء عاملين فى صفوفها، فلا بد من انتخاب قسم منهم لينوبوا عن الآخرين .

وليس من المنطق ، ولا من المعقول ، أن تنبثق منظمة تحرير فلسطين أول ما تنبثق متكاملة لا نقص فيها ولا شائبة .

إن من المتوقع أن يكون فيها بعض النواقص ، وهذا أمر طبيعى جداً ، إذ لا يولد الوليد وهو قادر على السير، بل يحتاج إلى وقت ليشب ويترعرع وإلى وقت ليكون شاباً ، وإلى زمن ليكون رجلا متكامل العقل .

ومنظمة تحرير فلسطين أيضاً ، تحتاج إلى الوقت ، والمطلوب من كل فلسطينى مخلص يحب فلسطين ويحرص على استردادها ، أن يعطيها الفرصة الكافية ليتكامل تنظيمها وتتغلب على مشاكلها وتذلل العقبات التى تصادفها ولكى تظهر للعيان نتائج جهودها من أجل قضية فلسطين .

أما أن نطالب منظمة تحرير فلسطين ، أن تقول للشىء كن ، فيكون ! فهذا أمر فوق طاقة البشر وينافى طبيعة الأشياء .

إن الفلطسينيين مطالبون أن يستظلوا براية منظمة التحرير الفلسطينية وأن يسيروا وراءها ، وأن يدعموها مادياً ومعنوياً .

إن إنقاذ الأرض المغتصبة من أرض فلسطين ، أمانة ما أثقلها فى عنق كل فلسطينى أولا وعنق كل عربى ثانياً وعنق كل مسلم ثالثاً ، وعنق كل إنسان يستشعر معنى الإنسانية أخيراً .

وهذا الوقت بالذات ليس وقت تناحر على المناصب ، بل هو وقت تضحية بالقضايا الشخصية من أجل هدف سام رفيع .

أسباب للدول العربية

- ١ -

القيادة العربية الموحدة

من أهم ما حققته مؤتمرات القمة للعرب ، هو القيادة العربية الموحدة .

إن القيادة العربية الموحدة ضرورة من ضرورات خوض معركة الثأر فى أرض فلسطين ، وهذه الضرورة يعرفها العسكريون خاصة ، لأن الجيوش العربية لا يمكن أن تحارب بتعاون وثيق وتنسيق كامل بقيادات عربية كثيرة ، ولا يمكن أن تنتصر على إسرائيل بدون قيادة عربية موحدة .

لقد ذكرنا فى بحث « أسباب الهزيمة » أن من أهم تلك الأسباب ، هو عدم وجود قيادة عربية موحدة منبثقة منذ السلم ، وقبل فترة مناسبة ، لإعداد الخطط العسكرية المدبرة والعمل على توحيد الجيوش العربية وتدريبها وتجهيزها وتسليحها وتنظيمها وقيادتها ، وإجراء التمارين (المناورات) المشتركة بينها نظرياً وعملياً ، لإبراز أهمية تعاونها ، وجمع المعلومات عن قوات الصهاينة مبكراً ، وتزويد الجيوش العربية بالخرائط اللازمة ، وعمل خطط إدارية لإمدادها بالسلاح والعتاد والأرزاق والنقلية والقضايا الطبية ، واستكمال استحضاراتها الدقيقة منذ السلم لخوض معركة قد تطول .

وفى الحرب تكون هذه القيادة جاهزة لتطبيق خططها العسكرية المدبرة فى المكان والزمان المناسبين ، وتكون حاضرة فعلا لقيادة الجيوش

العربية ، بعد أن عرفت منذ السلم مزاياها وقياداتها والواجبات التي يمكن أن تنجزها فى ميادين القتال .

تلك هى مجمل واجبات هذه القيادة ، وهذا هو مبلغ أهميتها ، وحرمان الجيوش العربية منها فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، كان من أهم أسباب الهزيمة — إن لم يكن من أهم أسبابها على الإطلاق .

— ٢ —

مؤتمرات القمة

شهد عام ١٩٦٤ ، تطوراً محسوساً فى العلاقات بين الدول العربية ، إذ انعقد فيه مؤتمران للقمة جمع شمل ملوك ورؤساء الدول العربية لأول مرة بعـــد كارثه فلسطين ، تناول البحث فيهما بالبحث قضية إنقاذ فلسطين .

كما شهد عام ١٩٦٥ انعقاد مؤتمر القمة الثالث فى الدار البيضاء .

وقد كان من المقرر عقد مؤتمر القمة الرابع فى الجزائر عام ١٩٦٦ ، ولكن انعقاده تأجل إلى موعد غير محدود .

إن مجرد اجتماع الملوك والرؤساء العرب فى بلد عربى واحد ، وتداولهم فى المصالح العربية ومصير العرب ، هو مكسب عظيم للأمة العربية ، ذلك لأن الاتصال الشخصى بين الرؤوس العربية الكبيرة للعرب يزيد من تعارفهم وتعاونهم ومن معرفة كل واحد منهم لزملائه معرفة شخصية وثيقة ، كما يسرع فى حل المشاكل العربية ويقلل من الرد والبدل بالوسائل السياسية الرتيبة ، وبالمخابرات الرسمية التي تحتاج إلى وقت طويل .

إن مجمل حصيلة هذه المؤتمرات الخاصة بفلسطين هى ثلاثة مكاسب لاينتقص من قيمتها أحد من ناحية المبدأ ، وقد ينتقص من قيمتها كثيرون من ناحية التفاصيل .

هذه المكاسب هى :

١ — منظمة تحرير فلسطين .

٢ — القيادة العربية الموحدة .

٣ — تحويل روافد نهر الأردن .

والذين يحبون أن يستمر انعقاد هذه المؤتمرات ، يريدون مزيداً من المكاسب للقضايا العربية ، ويحرصون على استمرارية المكاسب الفلسطينية ، وتذليل ما يصادفها من عقبات .

والذين لا يحبون انقطاع مؤتمرات القمة عن الاجتماعات الدورية المستمرة ، يخشون أول ما يخشون على المكاسب الفلسطينية من الضياع .

— ٣ —

الجامعة العربية

الجامعة العربية بالنسبة للعرب . هى شعرة معاوية بالنسبة للعرب وللقضايا العربية .

وشعرة معاوية ، هى التى كان يقول عنها معاوية بن أبى سفيان : « لو كان بينى وبين الناس شعرة لما قطعتها : إذا أرخوا شددت ، وإذا شدوا أرخيت » .

وقد كانت الجامعة العربية موضع نقد كثير من العرب وغيرهم منذ كانت عام ١٩٤٧ حتى اليوم .

والذين يوجهون إليها النقد ، لايستطيعون أن يفعلوا أكثر مما فعلته لو كانوا المسؤولين عن تدوير شؤونها .

إذ ماذا يستطيع أمين الجامعة ، وماذا يستطيع غيره ، أن يفعل تجاه تناقضات الدول العربية ؟

وهل بإمكانه ، أو بإمكان غيره ، أن يكون إنتاجه متكاملا مثالياً ، مع وجود تلك التناقضات به .

ومع ذلك ، فإن بقاء هذه الجامعة ، ضرورى للعرب ، لكى تقوم بواجب شعرة معاوية بالضبط .

وبالنسبة لقضية فلسطين ، فإن الجامعة سترعى هيئة تحرير فلسطين وتذلل العقبات أمامها ، وترعى مشروع تحويل روافد نهر الأردن بمعاونة الممثلين الشخصيين للملوك والرؤساء العرب .

وتقوم بالواجبات المالية فى تنفيذ الالتزامات التى أقرتها مؤتمرات القمة عن قضية فلسطين .

يجب الإبقاء على شعرة معاوية وتقويتها ، فهى ضرورية للعرب . خاصة لقضية فلسطين .

وإذا كانت الجامعة العربيةضرورية للعرب فى كل وقت ، فهى ضرورية جداً فى أيام تجميد مؤتمرات القمة إلى حين .

- ٤ -

تحويل روافد نهر الأردن

كانت محاولات إسرائيل لاغتصاب مياه الأردن ونقلها إلى صحراء (النقب) لإعمار هذه الصحراء، معروفة للدول العربية. فقد كان مشروع إسرائيل لنقل هذه المياه بالأنابيب الضخمة، قائماً على قدم وساق، وكان العمل لإنجازه مستمراً، حتى استطاعت إسرائيل إنجازه، فتم لها اغتصاب المياه العربية ونقلها إلى (النقب) فى شهر أيار من عام ١٩٦٤.

ومن الواضح أن العرب لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً قبل مؤتمرات القمة لعرقلة مشروع إسرائيل، أو منعهم من تنفيذه، لأنهم كانوا مختلفين فيما بينهم، فمضى الوقت عليهم سدى، واستطاعت إسرائيل إنجاز مشروعها، فتدفقت مياه الأردن إلى (النقب).

ولعل من فوائد تحويل روافد نهر الأردن للعرب، هو تعمير المناطق العربية، والاستفادة من تلك المشاريع الزراعية ولتوليد القوى الكهربية وللأغراض الأخرى.

ولعل من أضرار تحويل مياه تلك الروافد عن إسرائيل، أن مشروعها لنقل المياه إلى (النقب) قد كلفها مبالغ طائلة، كما أن ذلك يفوّت عليها مشروعها فى إسكان مليونى يهودى من المهاجرين الُجدد إلى إسرائيل.

والذى يهمنا هنا، هو معالجة الناحية العسكرية من تحويل روافد نهر الأردن.

إن العرب لابد لهم من تنفيذ مشروعهم فى تحويل تلك الروافد، فلهم كل الحق أن يفعلوا فى مياه بلادهم ما يشاءون.

كما أن نجاحهم فى التحويل ، سيثبت للعالم أنهم أصبحوا ينفذون ما يقولون ، ولو يبقوا كما كانوا من قبل يقولون ولا يفعلون .

كما أن نجاحهم فى التحويل ، له أثر بالغ على الناحية المعنوية للعرب ، فذلك يرفع معنوياتهم ، ويزعزع معنويات إسرائيل .

والأهم من ذلك ، أن إسرائيل تهدف من إعمار (النقب) ، نقل مليونى مهاجر إسرائيلى من شتى أنحاء العالم ، وإسكانهم فى المناطق المستصلحة من صحراء (النقب) .

ومعنى ذلك أن نفوس إسرائيل خلال فترة وجيزة ، ستبلغ ضعف نفوسها الحالى ، وهذا يؤدى إلى مضاعفة جيشها ليحقق لها نياتها التوسعية على حساب البلاد العربية .

ومعنى ذلك أيضاً ، أن إنتاج إسرائيل الصناعى — خاصة العسكرى منه — سيتضاعف أيضاً ، بعد إعمار مساحات شاسعة من (النقب) بتأمين المياه لها ، هذه المياه الضرورية للمشاريع الزراعية والصناعية ومشاريع الإسكان الخاصة بإسرائيل .

فإذا علمنا أن فى (النقب) كثيراً من معامل إسرائيل الحربية ، وعلى رأسها الفرن الذرى فى (ديمونا) بمنطقة (بئر السبع) ، وأن تدفق المياه بغزارة إليها منذ عام ١٩٦٤ ، كان عاملا حاسماً من عوامل تسهيل مهمة هذه المعامل الإنتاجية وتسهيل مهمة القائمين عليها من إداريين وعمال وغيرهم .

إذا علمنا كل ذلك ، وأخذناه بنظر الاعتبار ، ظهر لنا بوضوح أهمية إصرار العرب على تنفيذ مشروع روافد نهر الأردن ، وإنجاز أعمال التحويل بأسرع وقت ممكن مهما تكن نتائج هذا التحويل عليهم .

إن إسرائيل تدرك تماماً أهمية مشروع تحويل روافد نهر الأردن لحرمانها من مياهه ، إذ أن تنفيذ العرب لهذا المشروع سيحطم كثيراً من خطط إسرائيل الصناعية والزراعية والتوسعية ومضاعفة سكانها .

لذلك فهى تبذل كل جهودها لتحول بين العرب وبين تنفيذ مشروعهم هذا ، إلى درجة أنها هددت بالحرب لكى تمنع العرب من تنفيذه ، وقد قصفت فعلا آلات التحويل السورية يوم ١٤ / ٧ / ١٩٦٦ .

ومن المنتظر أن تقصف مناطق التحويل الأخرى .

والرد العربى الوحيد على قصف إسرائيل لمناطق تحويل روافد نهر الأردن ، وهو قصف العرب لمنشآت إسرائيل الخاصة بنقل مياه الأردن إلى (النقب) .

— ٥ —

المال

المال هو عصب الحرب كما ذكرنا سابقاً ، لأن كل عمل عسكرى يحتاج إلى المال الوفير .

إن منظمة تحرير فلسطين وجيش فلسطين وتحويل مجرى نهر الأردن تحتاج إلى المال الوفير .

ولا بد أن تنفذ الدول العربية التزاماتها المالية نحو فلسطين بحضور مؤتمرات القمة أو بغيابه ، إذ أن هذه المؤتمرات وسيلة لا غاية ، وقد تقرر فيها ما يؤيد به كل قطر عربى من مال لإنقاذ فلسطين .

وما دامت إسرائيل على قيد الحياة ، فلا بد للعرب من التضحية بالمال الكثير للقضاء فى النهاية على إسرائيل .

ولكن ، هل يقتصر دفع المال على الحكومات العربية فقط ؟

كل يهودى فى العالم ، عليه أن يدفع مقداراً معلوماً من المال كل شهر ، لا يستطيع أن يتخلف عنه لحظة واحدة ولا يقدر على أن ينقص من مقداره فلساً واحداً ، وبإمكانه مضاعفة المبلغ تبرعاً وتطوعاً . أما المال الواجب عليه دفعه شهرياً فهو يتناسب مع دخله ومع إمكاناته المالية بحيث لا يرهقه ولا يكلفه من الأمر ما لا يطيق .

هذا التنظيم الدقيق فى جباية الأموال بأسلوب منظم وبكميات معلومة ، جعل لميزانية إسرائيل رصيداً ثابتاً من المال ، وهو رصيد ضخم متين لا يمكن أن تؤثر عليه الأزمات والأحداث فى أى حال من الأحوال .

إن التنظيم ضرورى للتغلب على كثير من مشاكل الحياة ، فلا نجاح بدون تنظيم ، خاصة فى القضايا الكبرى لقضية إنقاذ فلسطين .

والعرب يريدون من حكوماتهم أن تفعل كل شىء ، وهذا ليس إنصافاً ولا عدلا ، بل يجب أن تعاون الشعوب حكوماتها فى القضايا العامة ومنها قضية فلسطين .

إن تنظيم جمع المال من الشعب العربى ، بحيث لا يفلت منهم عربى واحد ، بل يؤدى كل عربى قسطه الشهرى حسب طاقته المالية بدون تكليف ولا صعوبة ، هذا التنظيم ضرورى جداً ليعاون الشعب العربى حكوماته فى تحمل قسطه من المال من أجل إنقاذ فلسطين .

وهذا التنظيم قد يكون من الشعب بإشراف الحكومة ، وقد يكون من الحكومة بمشاركة الشعب ، فذلك سيان .

وحينذاك سينهض العرب شعباً بمعاونة الحكومات العربية فى أقدس قضية من قضايا العرب فى القرن العشرين .

— ٦ —

التنسيق الاقتصادى

بلاد العرب من المحيط إلى الخليج ، وحدة اقتصادية متكاملة ، يكمل كل قطر من أقطارها نقص الأقطار الأخرى فى ناحية من النواحى الاقتصادية .

والذى أريده من تعبير : التنسيق الاقتصادى للدول العربية بالنسبة لقضية فلسطين ، هو :

(ا) حرمان إسرائيل من موارد العرب الاقتصادية ، ومقاطعة إسرائيل مقاطعة اقتصادية حاسمة .

(ب) أن يكون لدى العرب الاكتفاء الذاتى من الناحية الاقتصادية ، لحرمان مَنْ وراء إسرائيل من تهديد العرب اقتصادياً .

(ح) الإفادة من الاقتصاد العربى سلاحاً فى حرب إسرائيل ومَن وراء إسرائيل اقتصادياً .

هذه الأهداف الثلاثة ، يمكن التعبير عنها من الناحية العسكرية بتعبير : الحرب الاقتصادية .

والحرب الاقتصادية ، هى أن يكون الاقتصاد سلاحاً لنا لا علينا ، وعلى أعدائنا لا معهم .

ولتحقيق ذلك ، لابد من تخطيط دقيق يتولاه الخبراء الاقتصاديون الذين لا غبار على علمهم وإخلاصهم وماضيهم واستقامتهم بالتعاون مع جماعة من العسكريين .

إن التنسيق الاقتصادى العربى متخلف جداً دون مبرر ، مما جعل مَن

وراء إسرائيل من دول الاستعمار ينفذون من هذه الثغرة لمصاولة الدول العربية وإشهار الحرب الاقتصادية عليها .

بعض الدول العربية محتاجة إلى القمح مثلا ، لسد متطلبات سكانها ، فهى تستورد هذا القمح بأموالها من الولايات المتحدة الأمريكية .

ولكن الولايات المتحدة الأمريكية ، تجعل من هذا القمح سلاحاً تهدد به الدول العربية المحتاجة إليه .

ولو كان هناك تنسيقاً اقتصادياً بين الدول العربية ، ومخططات عملية لتنفيذ هذا التنسيق ، لاستطاع العرب حرمان الولايات المتحدة الأمريكية من هذا السلاح الرهيب .

إن الاستعمار الجديد يتستر وراء المعونات الاقتصادية ، ومن أشنع أسلحته سلاح الحصار الاقتصادى ، هذا الحصار الذى مارسه الاستعمار الجديد على قسم من الدول العربية ، لترضخ إلى رغباته التى هى رغبات ربيبته إسرائيل .

فكيف يستطيع العرب تحقيق أهداف التنسيق الاقتصادى العربى الثلاثة ؟

(١) يجب عدم التعامل مع إسرائيل أو عملائها بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، كما يجب عدم التستر على من يتعامل مع إسرائيل أو عملائها بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

وعلى مكتب مقاطعة إسرائيل ، أن يزيد من يقظته وانتباهه ، فيفضح كل شركة أو باخرة لها علاقة بإسرائيل ، وكل بضاعة تصدر من إسرائيل أو من بلاد أخرى وهى تعود إلى إسرائيل .

إن إسرائيل — لكى تجعل مقاطعة العرب الاقتصادية لها غير ذات فائدة للعرب ولا ذات ضرر على إسرائيل ، استطاعت أن تنشىء المعامل بأموالها فى دول كثيرة وتصدرها من تلك البلاد إلى البلاد العربية .

وإسرائيل قد اشترت كثيراً من البواخر وسجلتها باسم عملائها فى بعض الأقطار الأوربية أو الأمريكية ، وهذه البواخر تروح وتغدو باسم تلك الأقطار لا باسم إسرائيل .

إن تشديد المقاطعة على إسرائيل سيلحق الضرر بمستقبلها الاقتصادى .

(ب) أما أن يكون للعرب الاكتفاء الذاتى من الناحية الاقتصادية ، فلا يمكن تحقيقه بدون تخطيط دقيق .

إن الاستعمار الاقتصادى ، هو أخطر أنواع الاستعمار ، وسيبقى العرب مهددين بهذا الاستعمار البغيض ما لم يكتفوا ذاتياً بمواردهم العربية ، لتكون المبادأة الاقتصادية بأيديهم سلاحاً لهم ، ولا تبقى المبادأة الاقتصادية بأيدى إسرائيل ومن وراء إسرائيل سلاحاً على العرب .

(حـ) الإفادة من الاقتصاد العربى سلاحاً فى حرب إسرائيل ومن وراء إسرائيل اقتصادياً .

والبترول هو سلاحنا الفتاك الذى لم نستعمله حتى اليوم ، فالحضارة هى النفط ، والنفط هو الحضارة ، وبدون نفط لا يبقى هناك حضارة بالشكل الذى هى عليه الآن .

إن فى البلاد العربية من مصادر الثروة الطبيعية ما يعادل فى غناه جميع مصادر الثروة فى أوربا كلها .

ولو استعملنا النفط وسيلة للضغط على من وراء إسرائيل لتبدل الحال غير الحال .

ولكن هل النفط وحده هو السلاح الفتاك من العرب ؟

إن فى بلاد العرب الممرات البرية والبحرية والجوية والمراكز السوقية (الاستراتيجية) الممتازة التى يستطيع أصحابها أن يتحكموا فى قارات ثلاث .

عندنا قناة السويس ، شريان الاتصال بين الشرق والغرب .

وعندنا المطارات .

إن النفط والممرات السوقية فى بلاد العرب هى أمضى سلاح يمكن بها أن يجبروا مَن وراء إسرائيل على التخلى عن إسرائيل إلى الأبد .

إن السياسة هى مصالح ، فإذا تهددت تلك المصالح فلا يمكن للعاطفة أن تثبت وجودها .

والسلاح الاقتصادى هو سلاح رهيب ، وهو حتى اليوم سلاح عاطل بيد العرب .

— ٧ —

التنسيق الصناعى

التنسيق الاقتصادى يعاون على الاكتفاء الذاتى للعرب بما تنتجه بلادهم ، ويحرم الاستعمار الحديث من سلاح الضغط الاقتصادى .

والتنسيق الصناعى هو جزء من التنسيق الاقتصادى . وإنما أوردناه هنا منفرداً لنركز على الناحية العسكرية منه ، إبرازاً لأهميتها ، وإظهاراً لتأثيرها الحاسم على حاضر ومستقبل الجيوش العربية عماداً فى إنقاذ فلسطين .

إن استيراد السلاح والعتاد والتجهيزات من الخارج ، له محاذير كثيرة يعرفها العسكريون ، من أهمها تبدل سياسة الدول من حين لآخر ، فينقطع الاستيراد تبعاً للتبدلات السياسية .

كما أن ظروف الحروب ظروف متغيرة متبدلة ، فقد تكون الطرق التى تمر بها مايستورد من سناد وعتاد وتجهيزات مفتوحة اليوم وقد تكون مقفولة غداً .

وحتى فى أيام السلم ، يعانى الجيش من اعتماده على الاستيراد الخارجى فى التسليح والتجهيز .

والعلاج الجذرى لمشكلة تسليح وتجهيز العرب — خاصة فى ظروف وجود إسرائيل — هو إنتاج السلاح العربى بالمعامل العربية .

ومادامت قسم من الدول العربية قد خطت خطوات موفقة لإنتاج السلاح والتجهيزات محليا ، فلابد من تنسيق الصناعة الحربية بين الدول العربية لتؤتى هذه الصناعات أكلها مرتين .

ويهدف هذا التنسيق إلى إقامة معامل متشابهة تنتج سلاحاً أو عتاداً متشابهاً دون جدوى .

وهذا التنسيق يهدف أيضاً إلى زيادة التعاون بين البلاد العربية من ناحية التسليح والتجهيز ، فيكون معروفاً ماهى متطلبات الدول العربية من السلاح والتجهيزات ، ومن أين تؤمن تلك المتطلبات .

ويهدف هذا التنسيق إلى عمل مخطط دقيق لإنشاء المعامل الحربية ، بحيث تؤمن فى المدى البعيد وبمراحل ، كل حاجات العرب من السلاح والتجهيزات .

ويهدف التنسيق إلى توزيع المعامل على البلاد العربية ، واختيار المواضع اللازمة لها ، لأن عامل الأمن مهم جداً بالنسبة للمعامل العسكرية .

— ٨ —

التنسيق الإعلامى

إن إسرائيل بأجهزة إعلامها الضخمة قد ألحقت بسمعة العرب أبلغ الأضرار .

ذلك هو الواقع المرير ، وكل قول يخالفه هو تخدير للعرب .

ومن الإنصاف أن نذكر أن أجهزة الإعلام العربية تطورت تطوراً سريعاً بعد عام ١٩٤٨ ، لكن المهم أن تنسيق أجهزة الإعلام العربية جهودها لإبراز حق العرب ودحض مفتريات إسرائيل .

وهذا الأمر ليس سهلا ، وقد لاتستطيع دولة عربيـــة واحدة النهوض به لوحدها ، بدون تعاون الدول العربيـــة الأخرى مادياً ومعنوياً .

إن أخطبوط أجهزة إعلام إسرائيل والصهيونية العالميـة تغلغلت فى الإذاعات والصحف والمسارح والملاهى والسينمات وفى الإذاعات المصورة (التلفزيون) ليس فى بلادها فحسب ، بل فى أجهزة الإعلام العالمية ، تنفيذاً لبروتوكولات حكماء صهيون .

فما الذى يجب أن يفعله العرب ؟

كان هناك مؤتمرات تحديدية لوزراء الإعلام ، وكانت مقرراتها جيدة ، ولكنها تحتاج إلى شيء من التنفيذ .

فهل نفذت تلك المقررات وإلى أى مدى ؟

سيبقى هذا السؤال من غير جواب ، لأن جوابه نسمعه كل يوم من أجهزة الإعلام العربية : كل حزب بما لديهم فرحون ... ؟

لابد أن يعاون إذاعة فلسطين خاصة قادة الفكر العربى وقادة السياسة وقادة الجيش ، وتغذيها ببحوثهم الأصيلة وأفكارهم النيرة ، فذلك يعطى تلك الإذاعة قوة وحيوية ويجعل الناس يهوون بأسماعهم إليها .

ولابد أن نفكر فى أمرين فى إذاعة فلسطين : الأول أن تستثير حماسة العرب لإنقاذ فلسطين ، والثانى أن نفهم الشعوب فى العالم حقيقة قضية فلسطين ونكشف لها أباطيل إسرائيل .

ولكى تنجح فى تحقيق هذين الأمرين ، لابد أن تكون المواضيع التى تطرح فى إذاعة فلسطين ذات قيمة جديدة مفيدة أصيلة نابعة من الواقع ، تفيد السامع ولا تدعو إلى إعراضه وملله ، بل تجعله فى غاية الشوق لسماعها ينتظر وقتها بفارغ الصبر .

وما يقال عن إذاعة فلسطين ، يقال عن كل أجهزة الإعلام العربية الخاصة بفلسطين .

إن تنسيق أجهزة الإعلام العربية ، هو الذى يزيد قوتها ويعمق تأثيرها ويؤمن تعاونها المجدى المفيد .

— ٩ —

تنسيق التعاون الخارجي

إن من أسباب الهزيمة عام ١٩٤٨ ، هو فشل السياسة العربية فى إفهام العالم بأجهزة إعلامها وبوسائلها الدبلوماسية ومن خلال المنظمات الدولية ، بحق العرب التاريخى والواقعى فى أرض فلسطين .

وقد ذكرنا فى فصل : حقيقة إسرائيل ، أن حملة عوامل قوتها الدعم السياسى الذى تحظى به من الدول التى وراء إسرائيل ومن الصهيونية العالمية ومن يهود العالم الذين يتسنمون مناصب قيادية فى مجلس الشيوخ الأمريكى وفى مجلس النواب الأمريكى والبريطانى وفى مراكز سياسية أخرى فى هاتين الدولتين وفى دول كثيرة أخرى .

إن تنسيق السياسة العربية كان يجب أن يظهر إلى الوجود عملياً بعد أن أخذت الدول العربية حريتها وأصبحت دولا ذات كيان .

ولكن هذا التنسيق تأخر كثيراً ،حتى حلت سنة ١٩٦٤،حيث اجتمع وزراء خارجية الدول العربية بعد مؤتمر القمة ، وكان من جملة مقرراتهم تقسيم الدول الأجنبية على وزراء الخارجية العرب ، ليزور كل وزير منهم الدول الأجنبية التى عهد إليه أمر زيارتها ضمن مدة معينة ووقت محدد ، وذلك لغرض عرض قضية فلسطين على تلك الدول من وزراء الخارجية العرب بشكل يظهر فيه حق العرب . وباطل إسرائيل .

وفعلا سافر بعض وزراء خارجية الدول العربية إلى بعض الدول الأجنبية،ولم ينفذ بعض وزراء خارجية العرب ما أوكل إليهم من واجبات!!

ما الذى يريده العرب لسياستهم الخارجية ؟

إنهم يريدون أن يجتمع وزراء الخارجية العرب ويتدارسوا قضية فلسطين بوعى وشمول ، ويتفقوا على قرارات واقعية فينفذونها بأنفسهم أو بوساطة السلك الدبلوماسى العربى .

وهم يريدون أن يجدوا وزارات الخارجية العربية يجمعها وحدة الهدف، فتعمل وكأنها وزارة واحدة ، تجند نفسها لتحقيق هدف واضح معلوم .

يجب أن توضع سياسة عربية واحدة ، لإظهار حقيقة قضية فلسطين فى الدول الأجنبية، وشن هجوم مقابل لإحباط هجوم إسرائيل على المصالح العربية فى فلسطين ، ووضع تخطيط شامل لرد سهام إسرائيل إلى نحرها ، ولمكافحة نشاط السلك الدبلوماسى الإسرائيلى ، ولكشف نيات إسرائيل العدوانية فى العالم .

وكل ذلك وغيره يحتاج إلى تنسيق للسياسة الخارجية العربية .

تنسيق التعـــليم

جرت محاولات كثيرة لتنسيق مناهج التعليم فى الوطن العربى ، ولعل تلك المحاولات هى أقدم من غيرها فى المجالات الأخرى ، ولـكن تلك المحاولات كانت ولا تزال بعيدة عن تحقيق أهدافها ، إذ بقيت مناهج التعليم مختلفة إن لم نقل متناقضة فى البلاد العربية .

والسبب فى فشل تلك المحاولات ، هو الاختلاف على الأسس بين رجال التربية العرب : قسم يريد أن تبقى المناهج كما كانت منذ قرون ، وقسم يريد أن ينسف المناهج القديمة من قواعدها غير معترف لها بأى فضل أو فائدة .

هـكذا تضيع الحقائق بين الإفراط والتفريط ، كما هو شأن العرب فى كل أمورهم ، وتقتلع الجسور بين الطرفين ، فيبقى كل واحد منهما فى ضفة من ضفتى النهر يفصل بينهما تيار الماء المتدفق إلى البحر عبثاً .

إن تنسيق مناهج التعليم العربى ، يؤدى إلى توحيد المناهج ، وهـــذا يؤدى إلى الانسجام الفكرى بين الجيل الصاعد من أبناء العرب ، وهذا الانسجام الفكرى هو الذى يجعل التعاون أمراً ميسوراً ويقضى على التناقضات فى مهدها .

أما أن تسير مناهج التعليم فى دولة عربية مشرِّقة وتسير فى دولة عربية أخرى مغرِّبة ، فكيف يتحقق الانسجام الفكرى بين أبنـاء هاتين الدولتين ؟ .

ليس كل قديم لا فائدة فيه ، وليس كل جديد فيه فائدة ، وعلينا أن

نقتبس من القديم ما يفيد ، ومن الجديد ما يفيد ، فنكون قد أثبتنا المفيد فقط دون النظر إلى القديم أو الجديد .

حضرت الوفاة حكيما من الحكماء ، فجمع أولاده الثلاثة ، وقال لهم : « أوصيكم بهذه البطيخة فاحفظوها » .

ومات الحكيم ، فقال الشقيق الأكبر : « يجب أن نحتفظ بالبطيخة فى مكان أمين » . وقال الأصغر : « كيف نحتفظ بها وهى عرضة للتعفن ؟... يجب قذفها إلى الشارع » . وقال الأوسط : « نكسر البطيخة ونزرع بذرها ، فنجنى منها وننتفع بها ، ونكون قد حافظنا على بطيخة والدنا حسب وصيته » . . وهكذا كان .

والذى أراد الاحتفاظ بالبطيخة نفسها ، يرمز إلى الذين يحبون الاحتفاظ بالقديم على علاته دون النظر إلى تطور الزمن ومتطلبات الحياة .

والذى أراد قذف البطيخة إلى الشارع ، يرمز إلى الذين يريدون أن ينخلعوا من ماضيهم مرة واحدة ، ومن لا ماض له فلا حاضر له ولا مستقبلا .

والذى أراد أن يزرع بذورها ويجنى منها أُكلها ، يرمز إلى الإفادة من الماضى التليد والحاضر الجديد .

وقد يكون فى ذكر هذه القصة الرمزية وتوضيحها ، ما يفيد فى تعميق معناها فى العقول والنفوس معاً ، فليست القضية قضية قديم أو جديد ، ولكن القضية قضية مفيد أو غير مفيد .

يجب أن تكون مناهج التعليم نابعة من عقيدتنا ، منسجمة مع تراثنا ، نقتبس من الجديد العلوم النظرية والعملية والأدب والفن الرفيعين ولا نستورد العقائد والمبادىء ولا ما يناقض تراثنا العريق .

هذه المناهج يجب أن تنشىء نشأً مؤمناً بعقيدته ، مخلصاً لأمته ، مدافعاً عن وطنه ، حريصاً على واجبه ، سليما فى أخلاقه ، مستقيما فى سيرته ، له مثل عليا يؤمن بها ويدافع عنها ويضحى من أجلها .

وهذه المناهج ، إذا أردنا أن تعمل عملها فى بناء العقول والأجسام ، لا بد أن تهدف إلى هدم أثرين من آثار الاستعمار ، هما : الاستعمار الفكرى ، والانهيار الخلقى .

فماذا عن الاستعمار الفكرى ؟

إن الاستعمار شر كله ، ولكن أشد أنواع الاستعمار خطراً هو الاستعمار الفكرى .

وإذا كان أمر معالجة الاستعمار العسكرى يقع على القادة العسكريين بالدرجة الأولى .

وإذا كان أمر معالجة الاستعمار السياسى يقع على القادة السياسيين بالدرجة الأولى .

وإذا كان أمر معالجة الاستعمار الاقتصادى يقع على القادة الاقتصاديين بالدرجة الأولى .

فإن معالجة أمر الاستعمار الفكرى يقع على عاتق قادة الفكر بالدرجة الأولى .

والذى نلاحظه أن كثيراً من بلاد العرب وأقطار المسلمين ، قد تخلصت نهائياً من الاستعمار العسكرى والسياسى والاقتصادى ، ولكنها لم تتخلص مطلقاً من الاستعمار الفكرى ، فهى لاتزال تحت وطأته حتى اليوم .

إن الاستعمار الفكرى إذا بقى فى أمة ، سهل على كل أنواع الاستعمار

أن يعود بيسر وسهولة إلى تلك الأمة ، ذلك لأن الاستعمار الفكرى هو الأصل ، وكل ما عداه فروع .

لقد آمن الاستعمار بأن القوة لن تدوم أبداً ، وأن الفكر هو الذى يدوم ، فكان وراء جيوشه المحاربة جيوش من نوع آخر : من المبشرين بالعقيدة غربية أو شرقية ، يدعون إليها ، ويغرسون فى عقول الأمم تقاليدها وعاداتها .

ودار الزمن دورته . فإذا بالعرب والمسلمين يتعشقون أساليب أعدائهم الحياتية والفكرية : يأكلون كما يأكلون ، ويلبسون كما يلبسون ، ويفكرون كما يفكرون ، ويتصرفون كما يتصرفون .

قال المستر نبروز رئيس الجامعة الأمريكية فى بيروت : « إن المبشرين يمكن أن يكونوا قد خابوا فى هدفهم المباشر وهو تنصير المسلمين جماعات جماعات ، إلا أنهم قد أحدثوا بينهم آثار نهضة . لقن برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التى استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها فى سعيهم لتنصير سورية ولبنان » . وقال الجنرال الفرنسى جورج كاترو : « المدارس الفرنسية إنما هى الأساس العريق القدم لسيطرتنا على المشرق » .

هؤلاء المستعمرون وطليعتهم من المبشرين يرون القوة الكامنة فى الإسلام ، هى التهديد المخيف للاستعمار ، فبذلوا جهودهم الجبارة لتشويه الإسلام والحضارة الإسلامية والحطّ من شأنهما فى نفوس العرب والمسلمين[1] .

ولولا القرآن الكريم الذى لا بدّ أن يقرأه المسلم صباح مساء

---

(١) اقرأ تفصيل ذلك بما لا مزيد عليه فى خاتمة كتابنا : قادة فتح المغرب العربى ، الجزء الثانى ، تحت عنوان : دروس من التاريخ لحاضر المغرب العربى ومستقبله .

فى صلاته ، لاقتلع الاستعمار لغة القرآن وتعاليم القرآن من جذورها .

لقد انهارت كل أسلحة الغرب والشرق ، وكل محاولات رجالهم وجهودهم ، أمام سلاح العرب والمسلمين الأوحد : القرآن ، وصدق الله العظيم : (إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون)[1] .

ولكن الاستعمار الفكرى إذا كان نجاحه محدوداً فى زعزعة المسلمين عن دينهم بفضل القرآن الكريم ، فإن هذا الاستعمار كان نجاحه ساحقاً فى مجالات أخرى .

استقدم المستعمرون معهم لغتهم . وزعموا أنها خير اللغات ، وأنها اللغة الحية التى ترفع وتضع ، وتصل وتقطع ، وتعطى وتمنع . . .

واستقدموا معهم تاريخهم ، وزعموا أنه أنصع التواريخ وأصدقها ...

واستقدموا معهم تقاليدهم ، وزعموا أنها أحسن التقاليد وأحراها بالبقاء .

واستقدموا معهم مناهج تعليمهم ، وزعموا أنها أكثر المناهج فائدة وأقربها إلى روح العصر .

واستقدموا معهم المبشرين يزعمون أن دينهم المنزل أو الوضعى هو دين الحياة .

ونسى بعض العرب وبعض المسلمين ، أو تناسوا أمام البذل والإغراء ، وأمام الوعد والوعيد ، لغة القرآن ومبادئ القرآن ، وتاريخ الإسلام ،

---

(١) الآية الكريمة من سورة الحجر (١٥ : ٩) .

وتقاليد العرب والمسلمين ، ومناهج تعليمهم لمختلف الآداب والعلوم والفنون .

نسوا أو تناسوا أن لغة القرآن هى اللغة الحية حقاً ، ولولا ذلك لما كانت لغة العلم والحضارة عشرات القرون، ولما غزت كل لغات العالم فى عقر دارها[١] ، فلا تجد لغة عالمية إلا وفيها من كلمات اللغة العربية لا تزال مستعملة حتى اليوم ، وقد كان من أعظم ما يفخر به أحد البابوات أنه يتكلم العربية ، وأنه خريج جامعة قرطبة .

ونسوا أو تناسوا ، أن تاريخ الإسلام هو أنصع التواريخ وأصدقها ، وأن أسلوب تدوينه وروايته أسلوب فذ فريد كان ولا يزال مثار إعجاب المنصفين من الأمم الأخرى دقة وتدويناً ورواية ونقلا لحوادث وقعت ولكنها أعجب من الأساطير .

ونسوا أو تناسوا أن تقاليد العرب والمسلمين : فضائل وعزة وشهامة وكرماً ووفاء وعطفاً وإباء ومساندة للمظلوم ومقارعة للظالم ومؤاساة للفقير ، ومواساة للمريض ، وتعليماً للجاهل وترفعاً عن الدنايا ...

ونسوا أو تناسوا أن مناهج التعليم العربية الإسلامية ، هى التى خرّجت علماء أفذاذاً كان لهم ولا يزال أثر عظيم فى الحضارة الإنسانية . . . تلك المناهج التى كان يعتبرها المعلمون والمتعلمون عبادة يتقرّب بها إلى الله سبحانه وتعالى ... ولا أزيد .

واستمرت معاول الهدم الاستعمارية تعمل عملها : تدعمها القوة الغاشمة

---

(١) صدر فى موسكو معجم عن : اللغة العربية فى اللغة الروسية ، ألفه أحد المستشرقين الروس .

من جهة والمال الحرام من جهة أخرى ، حتى أصبح بعض الشباب يعتبرون التفرنج حضارة ، والإلحاد مدنية ، والتمسك بالدين رجعية ، واعتناق المبادىء الوافدة تقدمية ، وحتى أصبح الذين يزعمون أنهم مثقفون يتنكرون للغتهم فيؤثرون لفكرتهم فى الصياغة والعرض القالب الأجنبى ، فيقولون بتباهٍ وترفُّع : « يعبِّر عنها الأجانب بلغتهم بكذا ... ولا أعرف كيف يعبَّر عنها بالعربية » . . كأن من المفاخر أن يعجزوا عن التعبير بلغتهم الأصلية ، مع أن هذه اللغة كانت لقرون طويلة كل شىء حين كانت اللغات يفاخرون بها لا شىء ! ! ...

وسيطر المتعلمون فى الغرب أو الشرق على مدارس وجامعات العرب والمسلمين ، فترجموا كتب الشرق والغرب التعليمية التى قرأوها فى الشرق والغرب — إذ أن هذه الكتب كل بضاعتهم ولا يكادون يعرفون غيرها — وزادوا فى طينها بلة ليثبتوا تحرّرهم وتسامحهم ، فجعلوا من الكفر الواحد فى تلك الكتب أضعافاً مضاعفة ، وسمموا أفكار الناشئة بالمبادىء المستوردة ، وجعلوهم يحتقرون كل ماهو عربى وكل ما هو إسلامى .

وإذا كان من مخططات الاستعمار غرس الاستعمار الفكرى فى عقول العرب والمسلمين وفى نفوسهم ، وإذا نفّذ المبشرون ومنهم بعض المستشرقين تلك المخططات ، فما عذر (المستغربين [١]) من أبناء العرب والإسلام الذين اقتفوا آثار المشبوهين فى ترسيخ آثار الاستعمار الفكرى البغيض ؟

وأكاد أقول : إن بعض المستغربين بزّوا أساتذتهم المبشرين والمستشرقين ،

---

(١) المستغربون : جمع مستغرب ، وضعناها لتقابل كلمة : مستشرق . والمستغرب : عربى أو مسلم يقتفى آثار المستشرقين متنكراً لعقيدته وتراثه وحضارته وتاريخه .

فقالوا فى عقيدتنا ولغتنا وحضارتنا وتاريخنا وتراثنا ، مالم يقله المستشرقون والمبشرون .

إذ كيف يثبتون تحررهم وتسامحهم وتقدميتهم بغير هذا الأسلوب الرخيص ؟

وإذا لم يهاجموا مقوِّمات عقدتهم وأُمتهم ، فمن عساهم يهاجمون ؟

وهكذا دخلت أدمغة الناشئة العربية والإسلامية السموم إلا من عصم الله ، فتلقى فى بيته من أبويه بعض ما يصحح الأفكار التى تلقاها عن عقيدته وتاريخه وحضارته فى المدرسة أو الجامعة .

هذا هو الاستعمار الفكرى : مقت شديد واحتقار لكل ما هو عربى ولكل ما هو إسلامى ، وإعجاب شديد وتقدير لكل ما هو غربى أو شرقى .

إن من أهم واجبات تنسيق مناهج التعليم ، هو طرد الاستعمار الفكرى من عقول ونفوس العرب والمسلمين إلى الأبد .

وهذا يكون بإبراز حقائق ديننا ومفاخر لغتنا وأمجاد تاريخنا ومزايا حضارتنا .

وحينذاك ستعود الثقة إلى نفوس العرب والمسلمين وترتفع معنوياتهم ، ويقولون بفخر واعتزاز : « نتحدى من يدّعى أن هناك عقيدة أقوم من عقيدتنا ، وأن هناك تاريخاً أصدق من تاريخنا ، وأن هناك حضارة أسمى من حضارتنا » .

إن الثقة بالنفس والمعنويات العالية ، هما المصلان الواقيان من التهاوى تحت أقدام المبادىء المستوردة .

لقد حمل رسالة الإسلام الخالدة إلى العالم أيام الفتح الإسلامى العظيم نوعان من القادة : قادة الفتح ، وقادة الفكر .

كان مع قادة الفتح ، قادة الفكر : يبشرون بعقيدة سمحاء ، ويترجمون نظرياتها عملياً على أنفسهم ، فكانوا التطبيق العملى لنظريات الإسلام حيّة تمشى على الأرض بأعمالهم ، فكرة وعملا ، وبذلا ، وجهاداً ، وتضحية وفداء .

وانقضت أيام الفتح بعد أن امتدت دولة الإسلام من الصين شرقاً إلى أعماق أوربا غرباً إلى سيبيريا شمالا إلى المحيط الهندى جنوباً .

وانحسر مدّ الفتح الإسلامى بعد أن بلغ نهايته وحقق أهدافه ، ولكن مدّ الفتح الفكرى الإسلامى بقى طاغياً حتى بعد ضعف المسلمين .

حتى الذين استطاعوا التغلب عسكرياً من غير المسلمين على المسلمين — وهذا قبل الاستعمار الحديث فى القرنين التاسع عشر والعشرين — تضاءلوا أمام العقيدة الإسلامية بعد حين ، فاعتنقها منهم كثيرون [١] وأصبحوا من روّادها وحاملى رسالتها بين الناس .

لماذا ؟

لأن المسلمين الأولين على الرغم من انهيارهم عسكرياً ، كانوا يعتدون بعقيدتهم كل الاعتداد ، ويؤمنون بأنها عقيدة بنّاءة لا تدانيها ولا تقاربها عقيدة أخرى .

---

(١) أسلم أحفاد هولاكو من بعده ، وأصبحوا يذودون عن الإسلام .

وقوة السيف قد تطغى ساعة ، ولكن قوة العقيدة هى الباقية إلى قيام الساعة .

إن المرء ليضحى بماله وروحه فى سبيل عقيدته وأمته ووطنه ، فكيف يضحى من يزدرى عقيدته ويحتقر أمته ويمتهن وطنه ؟

هذا هو الاستعمار الفكرى ، وهذه هى بعض نتائجه ، فماذا عن الانهيار الخلقى ؟

تعانى البلاد العربية خاصة ، والبلاد الإسلامية عامة ، أزمة أخلاقية خانقة ، لوّثت بأدرانها كثيراً من الأفراد والجماعات .

وكثيراً ما نسمع أن هذه البلاد تعانى أزمات شتى : أزمة استعمارية ، وأزمة سياسية ، وأزمة اجتماعية وأزمة اقتصادية ، وأزمة ثقافية ... الخ .

وكل ذلك صحيح ، ولكن الأزمة الأخلاقية — وحدها — هى التى جعلت العرب فى الوطن العربى ، والمسلمين فى دار الإسلام ، يعانون ما يعانون من تلك الأزمات جميعاً ، ويدورون فى حلقة مفرغة فى محاولة للتخلص منها دون جدوى .

والذين يضجون بالشكوى من هذه الأزمات من حكام ومحكومين ، ينسون أو يتناسون ، أن الأزمة الأخلاقية التى قلما يذكرونها أو يشعرون بها أو يفكرون بمعالجتها ، هى أخطر من كل أزمة أخرى ، وأن سبيل التخلص من كل أزمة تعانيها البلاد ، يبدأ من التخلص من الأزمة الأخلاقية وينتهى بالتخلص من الأزمة الأخلاقية .

إن الاستعمار الذى أناخ بكلكله على الشرق العربى الإسلامى ، قدّر

أنه لن ينجح فى ترسيخ أركانه وأسسها فى المناطق المستعمرة مالم يقض على الأخلاق ويقتلع جذورها من النفوس .

وبدأ المستعمر باختيار الإمعات من أبناء البلاد الذين لا علاقة لهم بعقيدتها وتراثها وتربتها ، إلا أن يكونوا عرباً ومسلمين جغرافياً وبالوراثة فقط ، واتخذ منهم أعواناً وبثّ رجاله ومن ورائه هؤلاء الأذناب لبث التمسخ الخلقى بين الناس .

ومضى الزمن ، فأصبح لرجال الاستعمار ولأذنابهم من الإمعات عدد ضخم من التلاميذ والمريدين ، يقلدون أساتذتهم تقليد القرود ، فذهبوا بعبثهم واستهتارهم إلى مدى أبعد مما أراده لهم أسيادهم المستعمرون .

إن الغزو الاستعمارى لم يكن ليرسخ أقدامه فى بلاد العرب والمسلمين لو لم يدعمه الغزو اللا أخلاقى الذى فسّخ الأخلاق وأشاح الترف ونشر التحلل من القيم واستهتر بالمثل العليا .

وهؤلاء الذين غادروا بلادهم إلى الخارج لتلقى العلوم والآداب فى المدارس والجامعات ، دأبوا جميعاً — إلا من رحم ربك وقليل ماهم — على الاختلاط بأحطّ الطبقات هناك ، فاقتبسوا منها أخسّ أنواع الاستهتار ، واستوردوا منها كل منكر وفاسد . ثم جاءوا بلادهم لينشروا فيها ذلك الاستهتار والمنكر والفساد بأبشع صوره وأحط أشكاله ، زاعمين أن ذلك من ملامح المدنية الحاضرة ، وأن التمدن معناه السكر والعربدة والخنا والميسر .

والحقيقة ، أن أولئك النفر لم يعاشروا فى ديار الغرب أو الشرق إلا الفاسدين من أبنائها ، فانتقل إليهم الفساد والإفساد بالعدوى ، كما ينتقل أى مرض معدٍ من أى إنسان مريض إلى أى إنسان سليم ، ولو أنهم خالطوا الطبقة الخيِّرة لرأوا عجباً .

إن الذين يذهبون إلى الغرب أو الشرق لتحصيل العلم أو للراحة أو الاستجمام أو التجارة وحضور المؤتمرات ، أكثرهم يتصلون بالطبقات الدنيا من شعوب تلك الأمم ... أكثرهم ينحطون إلى مستوى الخدم والسفلة ، ولا تجد إلا الأقلين يحاولون الارتفاع بأنفسهم إلى مستوى ذوى الخلق الكريم . فإذا عادوا إلى بلادهم تبجّحوا بما لمسوه من تصرفات الخدم والسفلة ظانين أن أهل البلاد التى كانوا فى ربوعها كلهم من ذلك المستوى . . وهيهات ! !

إن الأمة التى لا تثبت وجودها ، لا تكون حريه بتقدير الأمم واحترامها، ما لم تتمسك بمبادئ الخلق القويم .

لقد امتد نشاط دعاة التحلل الخلقى إلى الصحافة والمجلات والكتب والمذياع والمذياع المصوّر ، وتغلغل هذا النشاط إلى داخل العوائل والبيوت .

وإذا كان بإمكان الرجل أن يمنع عائلته من قراءة مجلة ما أو كتاب ما أو صحيفة ما ، ويمنعهم من ارتياد السينما ، فما حيلته مع المذياع والمذياع المصور ؟

إن المذياع — وخاصة المذياع المصور ، قد أصبح بدون شك مفسدة فى كل دار ، يعمل عمله التخريبى فى كل عائلة وفى كل دار ، فلمصلحة من كل ذلك ؟ ! لمصلحة من ؟ ! . . .

إن كثيراً من مفكرى الغرب ، يشكون مُرّ الشكوى من تفشى التحلل الخلقى بين شعوبهم . فلماذا نقتبس منهم هذا الضرب من إشاعة الفوضى الأخلاقية .

ولماذا نستورد من الغرب أو الشرق الأدب اللاأخلاقى أو أدب

المخدع كما يجب أن يطلق عليه بحق ، وأدباء المخادع كما يجب أن يطلق على كاتبيه ، ثم لانعمل على الحدّ من نشاط التفسخ الخلقى .. . وأ كاد أقول : نعمل على ازدياد هذا النشاط ؟

إن هذا الذى نعمله بأنفسنا ، وباختيارنا ، هو الذى يريده لنا عدونا ويريده لنا الاستعمار ، وتريده لنا الصهيونية .

فكيف نعاون الاستعمار والصهيونية وكل أعدائنا ، على تنفيذ نيّاتهم السيئة فى ربوع بلادنا .

وهل ذلك يجرى صدفة ودون قصد مبيت ، أم هناك أيد خبيثة خفيّة تعمل على إشاعة الفحشاء ؟

إن الذين يظنون ، أن التقدم والرقى والتمدن يأتيان عن طريق الفساد الأخلاقى ، واهمون كل الوهم ، أو أغبياء كل الغباء ، أو جهلاء كل الجهل .

وإذا كانت المدنية الغربية أو الشرقية قد حوت الجانبين من جوانب المدنية الحاضرة : جانب الخير الذى يتمثل فى المعاهد والمدارس والكليات والجامعات والمختبرات والمصانع والمعامل والمؤلفات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية ذات الفائدة والتوجيه ... الخ .. وجانب الشر الذى يتمثل فى الكتب والمجلات والصحف والروايات والتمثيليات الخلاعية الماجنة ، فهل من مصلحتنا — بلاداً وشعباً — لنا تراثنا وعقائدنا وتاريخنا ، أن نقتبس عن المدنية الغربية أو الشرقية جانب الشر فقط ، دون أن نعمل بجد ومثابرة على اقتباس جانب الخير من تلك المدنية ؟

وهل رأى أحد فى حياته كلها ، من يبنى الهرم من قمته ، قبل أن يبدأ كما هو مألوف معروف ، بوضع الأساس لبنائه أولا ، ثم يقيم عليه البناء ؟

إن الذى يبنى الهرم من القمة ، لا يفعل شيئاً أكثر من بذل الجهود المضنية ، دون جدوى ، لرفع الأنقاض التى تتساقط كلما حاول البناء ، ثم تذهب جهوده سدى تذروها الرياح .

وإذا كان من الثابت تاريخياً بما لا مجال لرده أو مناقشته ، أن من أسباب انقراض الدول واندحارها ، هو تردى شعوبها فى حمأة الترف والفسق والفجور ، بعد أن نشأت سليمة قوية متمسكة بأهداب خلقها القويم . وتاريخ اليونان والرومان والروم والفرس والعرب بالذات خير دليل على ذلك .

فما مصير الأمة العربية التى بدأت رأساً فى عصرنا الراهن ، بالترف والفسق والفجور ؟

ولماذا نستورد التحلل الخلقى ونشيع الفاحشة بين أبنائنا ، ونحن نريد أن نأخذ مكانتنا بين الأمم ونستعيد مجدنا المضاع ؟

وإسرائيل فى قلب الأمة العربية ، وهناك الاستعمار الشرقى والغربى ، فهل سنقاوم أعداءنا بالتحلل الخلقى وإشاعة الفحشاء ؟

وهل يقوى المخنثون على القتال ؟

لقد لمست فى ثورة المرحوم رشيد عالى الكيلانى عام ١٩٤١ ، وفى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وفى حياتى العسكرية ، أن الذين يقاتلون بعناد وشرف وشجاعة ، هم أصحاب المثل العليا المتمسكون بالخلق الكريم .

أما المترفون الذين لهم صلات بالغوانى ، فقد قضوا أيام القتال فى حسرات متصلة على أيامهم الماضية مع الغيد الحسان ... !

يجب أن نوقف التحلل الخلقى عند حدّه ، فقد طغى السيل وأصبح مستقبل الناشئة مهدداً بأفدح الأخطار .

والسبيل إلى ذلك هو تعاون المسؤولين وأفراد الشعب كافة ، وقادة الفكر العربى أيضاً .

والمسؤول الذى لايعمل لإيقاف التحلل الخلقى ، يعمل من حيث يدرى أو من حيث لا يدرى لمعاونة إسرائيل وأعداء شعبه فى هدم وطنه وقومه وعقيدته .

وربُّ البيت الذى لا يعمل لإيقاف التحلل الخلقى ، يعمل من حيث يدرى أو من حيث لا يدرى ، لمعاونة إسرائيل وأعداء عقيدته وأمته وقومه ... وهو فوق ذلك ليس رجلا بل هو من أشباه الرجال .

والمفكر الذى لا يجاهد بلسانه وقلمه لإيقاف التحلل الخلقى ، هو الآخر يعمل لمعاونة إسرائيل ومن وراء إسرائيل ، وسيموت هذا المفكر وهو حى دون أن يبقى لفكره أثر ذو قيمة حقيقية فى الناس .

يجب الإسراع بتنسيق مناهج التعليم فى البلاد العربية على أسس نابعة من عقيدتنا ، منسجمة مع تراثنا ، نقتبس ما يفيد من علم وأدب وفن ، ولا نستورد العقائد والمبادىء ، فلنا من مبادئنا وعقائدنا ما نفخر به ونعتز .

وهذه المناهج يجب أن تنشىء نشأً قويا أميناً : يؤمن بدينه ، ويخلص لأمته ويذود عن وطنه ، ويحرص على واجبه ، ويحافظ على خلقه ، ويجاهد بماله ونفسه لإنقاذ فلسطين .

هذه المناهج هى التى يريدها العرب لأولادهم وأحفادهم .

وهى التى تشيع الانسجام الفكرى بين الشعب العربى .

وهى التى تحقق لهم أهدافهم العليا ، وعلى رأسها إنقاذ فلسطين .

وهى التى تطرد آثار الاستعمار الفكرى البغيض ، وآثار التحلل الخلقى الكريه ، من ديارنا إلى الأبد .

فهل نحن فاعلون ؟

القواعد الأجنبية

إسرائيل قاعدة من أكبر قواعد الاستعمار فى الشرق الأوسط ، ووجودها لا يهدد العرب وحدهم ، بل يهدد كل دولة مستقلة فى آسيا وإفريقية .

وهى عدوة العرب التقليدية ، لأنها اغتصبت جزءاً من بلادهم ، بإسناد الدول الكبرى وتحت سمعها وبصرها .

لذلك تخشى إسرائيل العربَ مرتين حين تخشى الدول الآسيوية والإفريقية المستقلة مرة واحدة : مرة لأنها اغتصبت جزءاً من بلاد العرب ، ومرة لأنها قاعدة استعمارية ، فهى مع الاستعمار دائماً على الدول المستقلة دائماً .

وإذا كانت إسرائيل خطراً على الدول الإفريقية الآسيوية فى أيام الحرب ، فإنها خطر على الدول العربية فى أيام السلام والحرب .

بل ليس هناك أيام سلام أو هدنة لإسرائيل مع العرب ، لأنها اغتصبت بلادهم فهى معتدية على حقوقهم ، والعدوان والسلام لا يلتقيان .

إن كل قاعدة للاستعمار تهديد مباشر لكل دولة تناهض الاستعمار .

وكما أن العرب يعتبرون القواعد الاستعمارية فى (قبرس) وفى جزيرة (مالطة) وغيرها خطراً عليهم وهى ليست فى بلادهم ، كذلك يجب أن تعتبر الدول المستقلة فى آسيا وإفريقية إسرائيل خطراً عليها لا ينقضى إلا إذا قُضى على إسرائيل وتخلصت تلك الدول من شرورها .

والدول الآسيوية والإفريقية التى يخالجها الشك فى نيات إسرائيل العدوانية نحوها وممالأة إسرائيل سراً وعلانية للاستعمار ، عليها أن تراجع مواقف إسرائيل فى المؤتمرات والهيئات الدولية ، فقد كانت دائماً مع الاستعمار على الشعوب .

من هنا يجب أن تتعاون الدول الآسيوية والإفريقية فى شتى المجالات على اجتثاث سرطان إسرائيل من الرقعة التى احتلتها ظلماً وعدواناً فى أرض فلسطين ، إذ أن تعاون هذه الدول سيسهل أمر القضاء على إسرائيل ، لأن إسرائيل ليست وحدها فى الميدان .

والدول التى تحب العاجلة من المصالح ، فتقبل أن يكون لها علاقة اقتصادية أو سياسية بإسرائيل ستؤدى الثمن غالياً فى المستقبل ، فإسرائيل تخرب ذمم أبنائهم وتفسد أخلاقهم وتتجسس عليهم وتنقل أخبارهم لأعدائهم ، ثم تكون عليهم وبالا فى ساعة محنتهم لأنها تضربهم من الخلف وتكون عوناً للاستعمار عليهم .

هذه الدول الآسيوية والإفريقية المستقلة التى تخلصت بعد جهد جهيد من الاستعمار ، والتى لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بإسرائيل ، لم تصنع شيئاً أكثر من إخراج الاستعمار من باب وإعادته إلى بلادهم بإسرائيل من باب آخر .

وإذا كانت إسرائيل أكبر قاعدة للاستعمار فى الشرق الأوسط ، فإن الاستعمار يحاول أن تكون له قواعد أخرى فى مناطق أخرى ليطوِّق الدول المستقلة بطوق محكم من القواعد البرية أو البحرية أو الجوية لتنطلق منها أسلحة التدمير من قوات الاستعمار براً وبحراً وجواً وتلحق الدمار بأهدافها .

والذين يسمحون ببقاء القواعد الأجنبية فى بلاهم ، أو الذين يوافقون على إقامة القواعد الأجنبية فى بلادهم ، يلحقون أشد الضرر ببلادهم أولا ، ويلحقون الضرر بجيرانهم ثانياً .

إن القواعد الأجنبية ليست منطقة أجنبية فيها قوات أجنبية فقط ، بل هى منطقة فيها قيادات القوات الأجنبيةومستودعات أسلحتها وعتادها ، ومراكز تجسسها ومقراتها الإدارية بما فى ذلك من مطارات وموانىء .

ولا يمكن أن يعتبر البلد مستقلا كامل الاستقلال ، إذا كان فيه قواعد أجنبية .

إن السماح للقواعد الأجنبية بالبقاء فى الأقطار العربية خطأ فاحش بحق ذلك القطر وبحق الأقطار العربية الأخرى .

والموافقة على إنشاء قواعد أجنبية جديدة فى بلد عربى خيانة لاتغتفر بحق ذلك البلد العربى وبحق البلاد العربية الأخرى .

ومالم تنته القواعد الأجنبية وتسلم إلى أصحابها ، فإن الخطر يبقى جاثما والاستقلال يبقى ناقصاً .

وما دامت إسرائيل أكبر قاعدة للاستعمار فى الشرق الأوسط ، وما دامت خطراً داهماً على البلاد العربية ، فإن القواعد الأجنبية الأخرى فى البلاد العربية بوجود إسرائيل سيتضاعف خطرها على العرب .

لأن إسرائيل وتلك القواعد ستتعاون فى أيام السلام على مجال جمع المعلومات عن الجيوش العربية وعن الحكومات والشعوب العربية .

ولأن إسرائيل وتلك القواعد ستتعاون فى أيام الحرب على تحقيق أهداف الاستعمار وإسرائيل فى البلاد العربية .

إن البلاد العربية يجب أن تتخلص من القواعد الأجنبية الموجودة حالياً فى أرضها .

والبلاد العربية يجب ألا تسمح بقواعد أجنبية جديدة فى أرضها .

والبلاد العربية يجب أن تتعاون مع الدول الآسيوية والإفريقية للتخلص من القواعد الأجنبية التى تهدد سلامتها والموجودة فى غير البلاد العربية .

والعرب والدول الآسيوية والإفريقية يجب أن يعرفوا حقيقة إسرائيل التى هى أكبر قاعدة للاستعمار الجديد فى الشرق الأوسط ، لعل تلك الدول تتعاون فى القضاء على إسرائيل .

الوحـــدة

ذكرنا فى هذا الفصل : (أسباب للدول العربية) ، لمحات عن القيادة العربية الموحدة وأهميتها للجيوش العربية .

كما تحدثنا عن : مؤتمرات القمة وإنجازاتها التى تتلخص فى انبثاق منظمة تحرير فلسطين والقيادة العربية الموحدة وتحويل روافد الأردن والتضامن العربى وإسناد الجامعة العربية .

ولم تكن منجزات مؤتمرات القمة إلا (مظهراً) من مظاهر التقارب العربى ، وقد ذكرنا لمحات عن أهمية تلك المنجزات .

فإذا استطاعت مؤتمرات القمة العربية أن تحقق للعرب ماعجزوا عن تحقيقه من قبل بفضل هذا التقارب العربى ، فماذا سيحدث لو تطور هذا التقارب فأصبح وحدة شاملة للعرب ؟

إن المال والتنسيق الاقتصادى والتنسيق الصناعى والتنسيق الإعلامى وتنسيق التعاون الخارجى وتنسيق التعليم كلها دعائم من دعائم الوحدة ، بل هى المقدمات لنتيجة حتمية واحدة هى : الوحدة .

كما أن التخلص من القواعد الأجنبية فى البلاد العربية ومن ضمنها أكبر قاعدة أجنبية للاستعمار فى بلاد العرب وهى إسرائيل ، والتخلص نهائياً من الاستعمار لايتم إلا بالوحدة .

وقد ذكرنا فى بحث : إسرائيل والقنبلة الذرية : « إن الوحدة العربية هى الطريق التى توصلنا إلى إنتاج السلاح الذرى بأسرع وقت ممكن ، وهى التى تقضى قضاءً مبرماً على إسرائيل » .

كل ذلك يظهر للعرب بوضوح ، أن الوحدة العربية هى الدواء الناجع لهم وهى الطريق التى يسلكونها لتحقيق أهدافهم ، وهى سبيلهم للحياة بين الأمم بعزة وشرف وقوة وشأن .

فلا عجب أن يعادى الوحدة أعداء العرب وعلى رأسهم إسرائيل .

إن إسرائيل لاتخشى شيئاً خشيتها من وحدة العرب ، وقد روى أنتونى ناتنك : « أن زعماء وزارة الخارجية الإسرائيلية قالوا له : إن حكومتهم ستلجأ إلى كل وسيلة ممكنة من أجل إبقاء جيرانها العرب ممزقين[١] » .

وقال المؤرخ البريطانى توينبى : « إن القضية الفلسطينية لن تحل حلاً نهائياً إلا إذا اتحد العرب[٢] » .

وإذا عادت إسرائيل الوحدة ، وإذا عادى الاستعمار الوحدة ، فليس ذلك غريباً ، بل هو أمر طبيعى متوقع لايمكن إلا أن يحدث فى الوقت الحاضر وفى المستقبل .

ولكن أعداء الوحدة ليسوا فقط إسرائيل والاستعمار بل هناك أعداء كثيرون للوحدة معروفون للشعب العربى ومصيرهم إلى الزوال .

ولعل أخطر أعداء الوحدة ، هم الذين لايؤمنون بها ولكنهم يتظاهرون بها شعارات يرددونها ثم لا يعملون من أجلها ، أو يعرضونها سلعة للبيع والشراء كأى سلعة أخرى ، وخطورة هؤلاء النفر أنهم يحاولون تحطيم كل وحدوى مؤمن بالوحدة من غير حزبهم أو من غير تكتلهم بالإشاعات

---

(١) كتاب شاهدت بعينى — أنتونى ناتنك (٩٣) .

(٢) انظر : هكذا ضاعت (٢٥٦) .

وبالأكاذيب والمفتريات ، فيعاونون من حيث يدرون أو لا يدرون إسرائيل والاستعمار فى محاربة الوحدويين المخلصين حقاً من العرب .

هؤلاء الفئة من الناس ، ألحقوا بشعار الوحدة أفدح الأضرار، وأخروا مسيرتها مدة من الزمن ، ولكنّ أمرهم انكشف وأمر الذين سيسيرون على دربهم سينكشف أيضاً .

إن طريق الوحدة طويل ، والوحدة أمل كلّ مخلص للعرب وللمسلمين ، ولكن طريقها لا يحتمله غير المؤمن (حقاً) بالوحدة ، ولا يمكن أن يحتمله (العملاء) الذين يتظاهرون بالوحدة من أجل المال أو من أجل المنصب .

إن أعظم خيانة يمكن أن يرتكبها عربى ، هى عرقلة مسيرة الوحدة من أجل متاع الدنيا ، لأن العرب لا يمكن أن يعيدوا سيرتهم الأولى ويقضوا على إسرائيل والاستعمار وأذنابه بدون الوحدة الشاملة .

كيف تتم الوحدة ؟

لابد أن تسبق الوحدة العربية الوحدة الوطنية[١] ، فكلما كانت الدول العربية قوية كلما أصبحت وحدتها قوة حقيقية . أما إذا كانت الدول العربية ضعيفة داخلياً تعانى المشاكل والانشقاقات ، فإن الوحدة ستكون ضعيفة ، أو تكون كما قال سعد زغلول : « جمع أصفار نتيجته صفر » .

وأن يكون بين العرب انسجام فكرى ، أو بمعنى آخر أن تكون لهم عقيدة واحدة تجمعهم .

---

(١) سنتحدث عنها فى بحث : أسباب للدولة العربية التى سترد وشيكا .

فما هى العقيدة التى تشيع الانسجام الفكرى فى العرب ؟

إن تاريخهم العريق قبل الإسلام وبعده ، هو الذى يعطى الجواب الواضح الصريح على ذلك .

إن الإسلام عقيدة وعملا وتضحية وفداء ، هو الذى أثر فى العرب فبدّل حالهم من حال إلى حال[١] .

لقد كان من فضل الإسلام على العرب ، أنه وحّد صفوفهم ، وجمع كلمتهم ، ووجّههم للفتح ، فكان الإسلام بحق ، عقيدة منشئة بناءة ذاد عنها حماة قادرون ، هم العرب الموحدون الذين أصبحوا بفضل وحدتهم قوّة جبارة ، ولن يعيدوا سيرتهم الأولى بغير الوحدة والتوحيد[٢] .

إن الإسلام كفاح لا يهدأ ، وجهاد لا ينقطع ، واستشهاد فى سبيل الحق والعدل والمساواة ، فهو يبدأ من ضمير الفرد وينتهى فى محيط الجماعة ، وهذا هو سر خلوده : مادة وروح ، يسيطر عليه روح المسجد الذى هو محلٌّ ، للعبادة وثكنة للجهاد ومدرسة للعلم ومحكمة للقضاء .

إنه ما من مسلم يستشعر قلبه روح الإسلام ، يمكن أن يمد للمستعمرين يداً أو يقدّم لهم عوناً أو يهادنهم يوماً أو يكفّ عن حربهم خفية وجهراً .

إنه ما من مسلم يستشعر قلبه روح الإسلام ، يمكن أن يدع الطغيان والمظالم والعسف يدبّ على هذه الأرض ويستعبد الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً[٣] .

---

(١) أنظر التفاصيل فى بحث : أثر الإسلام فى العرب (٢٦٥ ـ ٣٥٥) من كتاب : قادة فتح الشام ومصر .

(٢) الرسول القائد (٢٢) .

(٣) قادة فتح الشام ومصر (٣٥١ ـ ٣٥٢) .

فلماذا يخشى بعض العرب من هذا الدين على مسيرتهم ؟ إن الإسلام يدعم العرب فى بلاد العرب ويدعم المسلمين فى دار الإسلام ، ويجعل من العرب قوة هائلة كما جعل منهم قوة هائلة من قبل .

وأىُّ معنى للعرب بدون إسلام ؟

إن العرب بالإسلام كل شىء ، والعرب بدون إسلام لا شىء ....

إنّ حاضر العرب ومستقبلهم يدعوهم إلى الوحدة الشاملة لخيرهم ولخير المسلمين ولخير الإنسانية كلها .

ولكنّ وحدتهم لن تكون قوية رصينة إلا إذا ساد أفكارهم الانسجام العقيدى ، وإلا فستتناقض العقائد وتصطرع فلا يكون استقرار ولا يبقى اطمئنان .

إنّ الطريق واضحة للسالكين على هدى وبصيرة .... إنها الوحدة تحت لواء الإسلام .

وصدق الله العظيم : (وكذلك أنزلناه حُكما عربياً ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ، مالك من الله من ولىٍّ ولا واق[١]) .

وربما يقول قائل : وما وضع غير المسلمين من العرب مع العرب المسلمين ؟ ...

إنه لا خوف عليهم ولا بأس . وهم عرب مثلنا ، عاشوا معنا مئات

---

(١) الآية الكريمة من سورة الرعد (١٣ : ٧) .

القرون منذ الفتح الإسلامى حتى اليوم ، فى وطن واحد وتحت نظام واحد .

والعرب المسلمون لم يعتدوا على من يخالفهم فى الدين أبداً ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من ظلم معاهداً أو كلّفه فوق طاقته ، فأنا حجيجه » . وكان فيما تكلم به عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل وفاته : « أوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل مَن وراءهم ولا يكلّفوا فوق طاقتهم[1] » ... وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « إنما قبلوا عقد الذمّة لتكون أموالهم كأموالنا ، ودماؤهم كدمائنا[2] » ... وكان التطبيق العملى أن الذين عاشوا بين أظهرنا قروناً طويلة عاشوا مكرّمين معزّزين .

إن الاستعمار بكل أشكاله شرقياً كان أم غربياً ، وإسرائيل ومَن وراء إسرائيل لا يخشون شيئاً كما يخشون الإسلام ، لذلك فهم لا يتّحدون ويصبحون صفاً واحداً على رغم تناقضاتهم المعروفة بين المعسكرين الشرقى والغربى ، إلا ضدّ الإسلام الصحيح خوف انتشاره بين الناس عامة والعرب خاصة ، وحينذاك يقضى الإسلام على ما يأفكون[3] .

لقد كان الإسلام هو العامل الحاسم فى انتصار ثورة المليون شهيد فى الجزائر ، وهى آخر ثورات المغرب العربى من أجل الحرية والاستقلال .

ذلك ما يؤمن به المخلصون للعرب حقاً والمسلمين .

أما الأدعياء والعملاء والمبتلون بالاستعمار الفكرى البغيض ، فلا

---

(١) انظر : الخراج ـ لأبى يوسف (١٢٥) .

(٢) أحكام الذميين والمستأمنين (٧٠) وفى سنن الدارقطنى (٢/ ٣٥٠) : من كانت له ذمتنا ، فدمه كدمنا . أنظر أحكام أهل الذمة (١/ ٣٤) .

(٣) سترد تفاصيل ذلك فى خاتمة كتابنا : قادة فتح المغرب العربى .

قيمة لآرائهم ، لأن ولاءهم للاستعمار ولأعداء العرب والمسلمين ، ولأنهم يخضعون إلى (جيوبهم) لا إلى عقولهم ، ولأنهم يجهلون روح الإسلام وتاريخه وحضارته ، ولو كانوا من حاملى أعلى الشهادات العلمية من جامعات الغرب ، فهم قد ملأوا فراغهم الفكرى بادّعاءات أعداء العرب والمسلمين .

يقول الوزير الجزائرى عمار أوزيغان : « لا يمكن لأية حركة ثورية أن تأمل بالنجاح مالم تغرس جذورها الثورية فى الواقع التاريخى » . ثم يعلق على ذلك بقوله : « إن موقفنا إزاء الإسلام يختلف لأننا ثوريون مرتبطون بالشعب ، ذلك لأن رفض الأيدلوجيا الإسلامية فى بلاد مستعمرة يُضطهد دين أكثرية سكانها الساحقة ، علامة (تجدد) أخرق تنادى به فئة منفصلة عن الشعب ، غريبة الحياة والفكر ، امتصتها أو شلتها آيديولوجيا العدو المستعمر .

« وما أكثر الذين انتقدوا الإسلام دون أن يعرفوه ! إنهم يشاركون فى الجهلُ (رينان) الذى لم يكن يرى فيه إلا مذهباً هو - على حدِّ زعمه - أثقل السلاسل التى حملتها الإنسانية فى تاريخها[1] .. »

ولكن كان من قبل (رينان) واحد ، هو فى صف أعداء العرب والإسلام .

واليوم أصبح (رينانون) كثيرون ، منهم فى صف أعداء العرب والإسلام ، ومنهم من يدَّعى العروبة والإسلام .

---

(١) الجهاد الأفضل (٢٢٥ - ٢٥٦) ، وقد بدأ عمار حياته الثورية ماركسياً شيوعياً ، فوصل من خلال الثورة إلى روح الإسلام وإلى الوجود الإسلامى .

وصدق الشاعر[١] :

قد كان ثَمَّ أبو رغالٍ واحد   واليوم آباء الرُّغال كِثارُ

إن انتصار ثورة الجزائر واتضاح طابعها العربى الإسلامى تصحيح للخطأ الفاحش المريب الذى وقع فيه بعض (المفسرين) من المشرق العربى، فى محاولة لستر افتضاح مفاهيمهم .. هــذه المفاهيم التى عاشت خلال نصف قرن تبشّر بأنه لاثورية إلا بنفى الإسلام ومحاربة الإسلام .. ثم فاجأتهم أعظم ثورات العصر بروحها الإسلامية الكاملة ، فراحوا يعتذرون لثورة الجزائر ، مقسمين بأغلظ الأيمان ، أنها ظاهرة جزائرية سببها رعونة الفرنسيين ، وأنها لاتصلح للنقل ولا للتطبيق .. ولا داعى للمغالاة فى أهمية هذا الحدث الذى يُرْجى زواله بإذن الله ! ! !

وهكذا أثبتــوا أنهم ليسوا فقط عاجزين عن الاكتشاف ، بل وعاجزين حتى عن التعلمُّ[٢] .

إن رسالة الأمة العربية هى الإسلام ، بها خرجنا للعالم ، فأسهمنا فى تطوير الحضارة البشرية ، وأثرينا تاريخ الإنسان ، ودفعنا بالقيم الفاضلة إلى مدارج أعلى ومفاهيم أنبل[٣] .

ولقد اعتصم شعب الجزائر بوجوده الإسلامى ، فقهر هـذا الوجود محاولات فرنسا لإفناء الوجود العربى الإسلامى . وبذلك بقيت الجزائر بفضل الإسلام للعرب ولإفريقية[٤] .

---

(١) هو الأستاذ الشاعر الكبير محمود الملاح .

(٢) الغزو الفكرى (٧) .

(٣) الغزو الفكرى (١٣) .

(٤) الغزو الفكرى (١٥) .

وما يقال عن الجزائر ، يقال عن المغرب العربى وعن البلاد العربية كلها .

لقد انبعثت ثورات المغرب العربى كلها من مفاهيم إسلامية أصيلة : عروبتها فى إسلامها ، وإسلامها فى عروبتها . انبعثت من جامع القرويين فى المغرب ومن جامع الزيتونة فى تونس ، ومن جمعية العلماء فى الجزائر ، ومن الزوايا السنوسية فى ليبيا ، فمن الحق أن نعترف بفضل هذه المعاهد على استقلال المغرب العربى وحريته ، لا أن نقابلها بالعقوق ونكران الجميل ونتنكر لها تنكراً لا يفيد غير الاستعمار وإسرائيل ويشفى غيظ المستعمرين منها لأعمالها المجيدة وتاريخها المجيد .

ومما يلاحظ ، أن كل حركة تحررية قامت فى العالم الإسلامى ، كان أساسها الدين، لا يستثنى من ذلك حركة مصطفى كمال الذى أصدر منشورات تهيب بالمسلمين لنصرته ، وتمسح بالسيد السنوسى لالتماس بركته ، ولكنه ما فتىء أن تنكر للإسلام والمسلمين بعد انتصاره، كما يفعل غيره من المتزعمين فى الأقطار الإسلامية الأخرى حينما يتمكنون من أمرهم ، ولا يبقون فى حاجة إلى تملق الشعور الدينى الذى هو الرابطة الجامعة بين مسلمى المشرق والمغرب .

ونحن إذ ندعو العرب والمسلمين إلى التمسك بدينهم ، إنما ندعوهم إلى إحياء السنن التى كانت سبب رقى أسلافهم، وإماتة البدع التى أخرت خلفهم المتخلف ، وبذلك نحدوهم إلى التقدم المنشود من غير أن ينسلخوا من دينهم الحق كما فعل الغربيون الذين يقتدون بهم (١) .

---

(١) مفاهيم إسلامية (٧ — ٩) .

إن الغرب لا يخشى شيئاً خشيته للإسلام كما ذكرنا : « ومنذ أن جمع (محمد) أتباعه فى مطلع القرن السابع وبدأ أول الانتشار العربى ، أصبح على العالم الغربى أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة صلبة تواجهه عبر البحر الأبيض . إن قوى الغرب المسيحية كانت تواجه العالم العربى على مدى ثلاثمائة وألف سنة فى نهضته وانهياره [1] » . .

وكان التبشير هو التمهيد للغزو المسلح ، ولكن خبرة المبشرين ، أثبتت استحالة تنصير المسلمين ، بل اكتشفت أن الهجوم السافر يستفز عناصر المقاومة . كذلك كان يعرف المبشرون أن مصير السيطرة الاستعمارية إلى زوال ، وأن القوات المسلحة التى ساندت تصرفاتهم ونشاطهم زائلة ، فأعدوا غزواً من نوع آخر ، هو الغزو الفكرى .

بهذا الغزو حاولوا ترتيب عقل المسلم ، بحيث يفكر منطلقاً من مقدمات صليبية دون أن يخلع دينه ، ولا حاجة لتعميده بالماء المقدس ، فقد عُمِّد بالفكر غير المقدس .

وإذا تشرب المسلم طقوس الحضارة الغربية — وهى حضارة مسيحية فى سداها ولحمتها — واطمأن إليها ، بل أيقن بفواقها عليه ، لا مجرد الفواق المادى ، بل أيضاً الفكرى والروحى ، انهارت مقاومته وأصبح كالمدينة المفتوحة عنوة مستباحة لكل ناهب ومقتحم .

إن سبيل إحياء كلِّ حضارة ، هى إيمانها بفواقها واعتزازها بخصائصها .

---

(١) من مقدمة كتاب : العرب ـ أنتونى نانتك ـ لندن ـ ١٩٦٤ ، نقلا عن : الماركسية والغزو الفكرى (٢٣) .

وما أسخف أن نتهم بمعاداة التقدم العلمى والصناعى الغربى ... بالعكس[١] ... إن ما نعنيه بالغزو الفكرى أو الاستعمار الفكرى هو : أن تؤمن بأن عدوك الألد وهو ولى نعمتك ... وأن ينشأ جيل يؤمن بأنه يدين حتى بالحرية لأوربا ... لا أنه فقد الحرية بسبب أوربا التى احتلت بلاده وقضت على حريتها[٢] .

« ولكن الغرب مازالت له (السيادة) فى الميدانين الاقتصادى والثقافى فالسيطرة الثقافية المستمرة للغرب هى بقية من بقايا سيطرته السياسية السابقة . أما على العصيد السياسى ، فإن البلاد التى كانت خاضعة لسيطرة الغرب بطريقة مباشرة ، قد استردت الآن كلها تقريباً استقلالها من الغرب . ولكن هذه البلاد التى استقلت سياسياً ، ما زالت غير متحررة تماماً من الوجهة الثقافية ، فهى لا تزال متأثرة بالأفكار والمثل العليا الغربية دون تمييز ودون أى انتقاد لها[٣] » .

« على أن كل هذه البلاد التى نجحت فى أن تحرر نفسها من سيطرة الغرب السياسية ، قد استغلت حريتها على نحو غير متوقع على الإطلاق . فقد ناضلت هذه البلاد بعنف شديد ضد السيطرة السياسية للغرب ، ويمكن القول بأن كفاحها هذا قد كُلِّل بالنجاح فى كل الحالات حتى الآن . ولقد كان من المتوقع بعد أن تمكنت من أن تتحرر سياسياً من الغرب ، أن تستخدم هذه الحرية الجديدة التى اكتسبتها فى النضال ضد المدنية الغربية بوجه عام . أى إنه كان من المتوقع أن تستخدم هذه البلاد حريتها المكتسبة حديثاً لكى ترجع إلى أسلوبها التقليدى فى الحياة ، وهو الأسلوب

---

(١) الماركسية والغزو الفكرى (٤١) .

(٢) الغزو الفكرى (١٣٧) .

(٣) محاضرات آرنولد توينبى (٣٥) .

الذى كان سائداً فى حياتها قبل أن يسيطر عليها الغرب . ولكن الذى حدث فى جميع الحالات تقريباً ، كما نعلم ، هو أن البلاد التى تحررت حديثاً قد استخدمت حريتها للغرض العكسى تماماً ، أى أنها قد استخدمتها لتقتبس بمحض اختيارها عناصر من المدنية الغربية ، أعنى من أسلوب الحياة الحديثة ، وقد فعلت ذلك بحماسة ، وبلغت حماستها هذه حداً لم يكن الحكام الغربيون السابقون يجرأون على أن يفرضوا به المدنية الغربية عليهم — ذلك لأن نظام الحكم الأجنبي يتعيّن عليه دائماً أن يكون أكثر حذراً من نظام الحكم القومى ، وهناك أمور لا يجرؤ النظام الأجنبي على فعلها مطلقاً ، ومع ذلك يجرؤ عليها النظام القومى[١] » .

« ولكننى أعتقد أنه سيكون من سوء حظ الجنس البشرى كله ، وضمنه الغرب ذاته ، أن يتجه الجزء غير الغربى من العالم إلى قبول المدنية الغربية بكل عناصرها دون تمييز ، ودون تفرقة بين ما هو نافع وما هو ضار فيها ، وأقول : إن هذا يكون من سوء الحظ ، لأن المدنية الغربية شأنها شأن أى مدنية أخرى فيها أوجه نافعة وأوجه ضارة[٢] » .

« ذلك لأن المستوى المادى للمعيشة ، ليس غاية فى ذاته ، وإنما هو وسيلة لغاية أخرى ، هى رفع المستوى الروحى[٣] » . « وعلى ذلك فمن وراء رأس المال المادى ، يوجد رأس المال الإنسانى ، وهو أهمّ رأس مال يملكه البشر[٤] » .

---

(١) محاضرات آرنولد توينبى (٣٦) .
(٢) » » » (٣٧) .
(٣) » » » (٤٠) .
(٤) » » » (٤٢) .

إنّ الإسلام[1] هو القوة التى تخشاها الصهيونية ، ويخشاها الاستعمار ، ولا قوة غير الإسلام تقضّ مضاجع الأعداء .

وهناك ظاهرتان جديرتان بالنظر والاعتبار فى تحرير الشعوب العربية والإسلامية من الاستعمار الغربى ، منذ ابتدأت حركات التحرر فى القرن التاسع عشر حتى الآن .

الظاهرة الأولى : أن المشعل الذى كان يقود هذه الحركات هو مشعل الإسلام ، وأن بذور الثورات ضد الاستعمار كانت المبادىء والتعاليم الإسلامية . ففى مصر والهند ، وفى المغرب العربى وفى أندونوسيا ، وفى تركيا ، والبلاد العربية ، وفى البلاد الأفريقية الإسلامية التى ينتمى أكثر سكانها إلى الإسلام ، كان القرآن الكريم والتمسك به مصدر الثورة وباعث حركة التحرر فيها ، وكان العلماء وطلاب الجمعيات والمعاهد الإسلامية هم المضحّين والفدائيين فى العمل على طرد الاستعمار .

والظاهرة الثانية : أن الذين تولوا توجيه السياسة بعد الاستقلال ، ونجاح هذه الحركات نجاحاً جزئياً فى الشكل السياسى — من الذين تثقفوا على الغرب (المستعمر) ، ولم تكن لهم صلة قوية بالإسلام وتاريخ دعوته وفهم مبادئه .

---

(١) عقد فى (كمبردج) ـ انكلترا ، مؤتمر يهودى مسيحى لتوثيق التعاون بين الدينين ، وقد صدرت مقرراته يوم ١٢ /٨/ ٦٦ التى تتلخص بحث الكنائس المسيحية على عدم مهاجمة يهود والاستغفار عما كان منها فى السابق !! طبعاً المصلحة من هذه المقررات ليهود فقط ، قال الكاتب الإنجليزى شترون (A. K. Chestroin) : « أعرف كثيراً من يهود يعملون على تحطيم يقين الأمم بالديانة المسيحية » . وجاء فى البروتوكول الرابع عشر لحكماء صهيون : « حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة العالم ، لن نبيح قيام أى دين غير ديننا » .

كان أرباب (القديم) محركى الثورات وقادتها ، وأصحاب (الجديد) هم رواد الدولة وساستها ، وأسباب ذلك عديدة : منها ما يعود إلى العلماء أنفسهم ، ومنها مايرجع إلى السياسة الاستعمارية منذ أن احتلت بلداً من هذه البلاد .

ولولا الدعوة إلى الإسلام وتعاليمه ، ولولاحضّ المسلمين على مقاومة الاستعمار باسم الإيمان بالإسلام والجهاد فى سبيل الله ، ما أثـّرت حركة تحريرية فى هذه البلاد ، ولذاب مجتمع (العبيد) فى مجتمع (الأحرار) .

فالاسلام فى أى بلد ، واللغة العربية معه فى البلاد العربية ، كان جماع التاريخ لكل بلد ، ووعاء الأمجاد والكفاح من أجل القيم العليا لماضى كل شعب من هذه الشعوب ، وبذلك حفظ الإسلام للشعب كيانه وشخصيته ومقومات هذه الشخصية .

وهناك ظاهرة ثالثة تصحب هاتين الظاهرتين : وهى ظاهرة العجز عن تحويل مجتمعات هذه الشعوب بعد استقلالها إلى مجتمعات إسلامية ، وجعل القيم الإسلامية فيها أصولا وأهدافاً لها .

ولعل بُعد صلة رواد السياسة فيها — بعد الاستقلال — بالمبادىء الإسلامية وفهمها فهماً سليما ، بالاضافة إلى صنوف التبعيّـات الاقتصادية والثقافية والسياسية والتعليمية التى أحكم المستعمر شدّ وثاقها باتجاهاته وبجوانب حياته فى بلده الأصيل ، من الأسباب التى وقفت فى طريق هذا التحويل ، إن كانت هناك يوما ما رغبة فيه .

والذى يبدوا فى أفق هذه المجتمعات حتى الآن ... الاكتفاء بالإشارة إلى أن الإسلام دين الدولة الرسمى ! وقد تلقى هذه الإشارة أحياناً معارضة

يحملها المجددون أولياء الاستعمار الماضى ومن الذين يخدعون أنفسهم باسم (العلمانية) .

والإشارة — مع ذلك — إلى أن الإسلام دين الدولة الرسمى ليس لها صدق ما أو واقع فى حياة المجتمع ،سوى ترك الأفراد يترددون على المساجد فى أسلوبها التقليدى وضعف فاعليتها فى التوجيه [١] .

حين كان العرب متمسكين بالقرآن ، أقاموا (وحدة) رصينة ، وأسسوا (دولة) عظيمة ، وأنشأوا (حضارة) خالدة ، وكونوا (قوة) هائلة ، وحملوا (رسالة) سماوية واجبة الأداء للعالم[٢] .

واللغة العربية الفصحى هى من مقومات الوحدة ، وهى من مقومات حاضر العرب ومستقبلهم ، وهى صلة العرب بتراث آبائهم وأجدادهم .

إن الدعوة إلى العامية دعوة مريبة هدفها جعل الشعب العربى شعوباً وجعل الأمة الواحدة أمماً ، وجعل القرآن مهجوراً خلال فترة من الزمن بعد رسوخ أقدام العامية ، لأن لغته تصحيح غير مفهومة للعرب أنفسهم إلا بعد ترجمتها الى العامية، كما أصبحت اللاتينية غير مفهومة من الفرنسيين والإيطاليين والأسبان .

فلمصلحة من هذه الدعوة المريبة ؟ ولمصلحة من نكسر أقوى أسلحة الوحدة بأيدينا[٣] ؟

---

(١) مقدمة تفسير ابن باديس — المقدمة بقلم الدكتور محمد البهى (٥ — ٧) .

(٢) أنظر التفاصيل فى الفاروق القائد (١١ — ١٦) .

(٣) تحية للاستاذ الشاعر عزيز أباظة فى قولته عن دعاة العامية : « إنهم قليلو العدد . ولكنهم كثيرو المدد » .

فكيف تتم الوحدة ؟

الذين درسوا تاريخ الوحدات كالوحدة الألمانية والوحدة الإيطالية ، يعرفون أن هذه الوحدات تمت بالقوة .

وقد كانت تلك الوحدات فى القرن التاسع عشر ، فهل تنجح القوة وحدها فى تكوين الوحدات اليوم ؟

وقد تكونت وحدات — خاصة فى إفريقية — بعد استقلال دولها بالقوة أو بما يشبه القوة ، فهل استمرت تلك الوحدات ؟ .

على كل ، فالمتفق عليه ، أن الشعوب هى التى تقيم الوحدات ، فإذا أقامت الشعوب وحدة فلن تنفصم عراها .

ولكن الشعوب لا تقيم وحدة إلا إذا اقتنعت بأن مصلحتها العليا فى تلك الوحدة ، فإذا اقتنعت بذلك فلن يحول دون تحقيق الوحدة حائل .

والشعوب إذا شاع بينها انسجام فكرى واحد ، يوجهها إلى أهداف واحدة ، ويجعلها تؤمن بمثل عليا واحدة ، فإنها تقـــدم على إقامة هذه الوحدة .

وقد تكلمنا عن كيفية إشاعة الانسجام الفكرى بين العرب فيما سبق ، أما أن يعتنق كلُّ فرد أو جماعة عقيدة مبتكرة أو مستوردة ، فإن ذلك يؤدى إلى الفرقة لا إلى الوحدة ، ويبقى كل حزب يناحر الحزب الآخر ويسبغ عليه النعوت المعروفة تشنيعاً واتهاماً ، كلُّ حزب بما لديهم فرحون .

فإذا تشعبت العقائد وتكاثرت ، تفرقت الأهداف وتناثرت ، فلا يكون هناك اتحاد ، بل يكون هناك افتراق .

والعرب فى الصدر الأول للإسلام ، قد توحدوا بالعقيدة ، فأصبحوا وحدة قوية وجدت لها متنفساً بالفتح الإسلامى العظيم .

ولكن الانسجام الفكرى يحتاج إلى دعم آخر ، وهو إفهام العرب بأن مصلحتهم العليا فى الوحدة ، وأن بقاءهم متفرقين لايفيد غير إسرائيل والاستعمار ، ويلحق بمصالح العرب فى حاضرهم ومستقبلهم أفدح الأضرار .

والعرب فى حاضرهم تفصل بين أقطارهم فى الوطن العربى الكبير سدود وحدود ، عمل الاستعمار بكل طاقاته على تثبيتها وترسيخ أقدامها ، كما عمل أذنابهم على تعميق وجودها والاستقتال فى سبيل الإبقاء عليها .

أما العرب أنفسهم فلا انسجام فكرياً بينهم ولا عقيدة واحدة تعبر عن أهدافهم .

فلمصلحة مَنْ تبقى السدودَ والحدود بين البلاد العربية ، ولفائدة مَن تبقى الأهواء والنزعات بين العرب ؟ .

إن وحدة العرب ليست مجرد أمل يراود الساسة ، بل هى حقيقة تتغلغل فى طبيعة الأشياء ، إذ لايمكن فى هذا العصر الذى امتاز بتجمع الشعوب وتكتلها ، أن تبقى أقوام عربية متجاورة ، تربطها أواصر الدين واللغة والجنس والتقاليد ووحدة المصلحة والشعور متفرقة دون أن تتحد هذه الرقعة العربية عاشت دهراً طويلا فى ظل راية واحدة : مزدهرة بحضارتها ، قوية باتحادها ، فلمصلحة مَن يتناثر هذا العقد النضيد ويتفرق

بددا ؟ ! ألمصلحة الأمة العربية ، وهى أمة واحدة ، فى تفرقها الوهن وفى اتحادها القوة ؟ أم لمصلحة الحضارة العالمية ، وهذه الحضارة تحقق كسباً عظيماً فى رجوع الحضارة العربية إلى سابق عزها التليد ؟ .

إن وحدة البلاد العربية آتية لاريب فيها — رضينا أم أبينا — فهذه سنة الحضارة البشرية ، ونحن لانملك من أمر هـذه الوحدة إلا أن ننظم الاتجاه إليها ، فنسيِّرها ونعجِّل بها .

لقد عاش الرسول القائد عليه أفضـــل الصلاة والسلام حياته الغالية فى مكة المكرمة ، موحداً من أجل الجهاد .

وعاش حياته المباركة فى المدينة المنورة ، مجاهداً من أجل التوحيد .

فكانت حياته كلها توحيداً من أجل الجهاد وجهاداً من أجل التوحيد .

والذين جاءوا من بعده من الخلفاء الراشدين ، سلكوا طريقه واقتفوا آثاره فى التوحيد والجهاد .

وكل من يريد خدمة العرب والمسلمين ، لابد من أن يسير على نفس الطريق ليحصل على نفس النتائج .

أقولها صريحة حاسمة موجهة لقادة العرب خاصة ولقادة المسلمين عامة .

إن التاريخ لم يخلِّد غير الذين وحَّدوا وجاهدوا .. وحدوا الصفوف ولمّوا الشعث ، وكوّنوا قوة موحدة من قوى متفرقة ، وجاهدوا فى سبيل مُثل عليا لمصلحة أمتهم ، ولمصلحة الإنسانية ، فالحياة تافهة إذا خلت من مُثل عُليا .

وهذه البلاد العربية متفرقة ، وفيها ميدان واسع لمن يريد العمل (حقاً) لتوحيدها .

وهذه فلسطين فيها ميدان واسع لإنقاذها . . .

وهذا التاريخ يفتح أنصع صفحاته لتخليد من يوحد ويجاهد .

إن المسؤول الذى يُقدم على توحيد العرب وجهاد أعدائهم ، سيجد القلوب فى الوطن العربى تهوى إليه ، وسيجد النفوس فى دار الإسلام تبارك خطواته ، وسيجد الذين يقاومون جهوده يتهاوون تحت أقدامه كما تتهاوى أوراق الشجر فى الخريف .

وأخيراً سيجد أن الضعف أصبح قوة ، وأن الفقر أصبح غنى ، وأن الجهل أصبح علماً ، وأن المرض أصبح صحة ، وحينذاك سيكون العرب قوة لها شأن فى العالم كله تعيد للمسلمين عزهم ومجدهم[1] .

بالوحدة تموت إسرائيل ، وبالفِـرْقة يطول عمرها .

والقائد العربى الذى يعدُّ العدَّة للقضاء على إسرائيل اعتماداً على بلاده ، ويقضى عليه فعلا ، سيحقق للعرب وحدتهم بإرادة الشعب العربى ، كما حقق صلاح الدين الأيوبى الوحدة بعد انتصاره فى (حطين) وطرد الصليبيين من فلسطين .

والتاريخ يعيد نفسه . . .

فمن هو ابن العرب البار ، الذى يقضى على إسرائيل ، فيرفع رايات الوحدة فى (تل أبيب) ، لا فى بلد آخر من بلاد العرب . . .

---

(١) الرسول القائد (٢٣ — ٢٤) .

إن الشعب العربى سيبايع من يفعل ...

وسيحطم من يقف حجر عثرة فى طريقه ...

وسيعيد للعرب سيرة الخلفاء الراشدين وسيرة صلاح الدين .

فمتى يظهر النور فيبدد الظلام ...

وفى أى هزيع من الليل نحن ؟

يانصر الله اقترب ...

أسبابٌ للدّولة العربيّة

تقوية الجيش

— ١ —

فى التطهير الأخير[1] الذى حدث فى الحزب الشيوعى الصينى ، جرى تطهير رئيس أركان الجيش الصينى ، وكان سبب تطهيره كما أذاعت الصين ورددتها الإذاعات العالمية الأخرى : « أن رئيس أركان الجيش انصرف لقضايا الجيش أكثر من انصرافه الى قضايا الحزب » .

لم يشفع لهذا الضابط الكبير ، أنه من مؤسسى الجيش الصينى ، وأنه أفنى زهرة عمره فى إعداد هذا الجيش ، وأنه كان من ألمع ضباط الجيش الصينى علماً وعملا ، وقد كان هو بالذات حزبياً ، ولكن لم يكن — كما يظهر — حمرته غامقة ، بل كانت حمرته خفيفة ، ولولا ذلك لسخر الجيش للحزب ، ولأعار القضايا الحزبية اهتماماً أكبر من قضايا الجيش ، ولو فعل ذلك لبقى فى الجيش ما بقيت الشيوعية فى الصين أو يتوفاه الله .

وفى حالة تسخيره الجيش للحزب ، لا يكون قائداً ، بل يكون مهرجاً . والضابط الحق يعيش ضابطاً ويموت ضابطاً ، ولا يرضى لنفسه أن يكون مهرجاً حتى ولو جاءته الدنيا طوعاً وخلد فى المناصب وفى الحياة .

وإذا كان الإخلاص للجيش — بالنسبة لهذا القائد الصينى — هو إخلاصاً للصين ، وإذا كان رائد الحزب الشيوعى هو الإخلاص للصين أيضاً ، فما كان ينبغى أن يطهر مثل هذا القائد ، لأن رائد الجميع هو الإخلاص. أما وأنه عوقب بالتطهير وبالتشهير أيضاً ، فمعنى ذلك أن الإخلاص للحزب أولا ثم الإخلاص للوطن أخيراً .

---

(١) التطهير الذى بدأ فى النصف الثانى فى عام ١٩٦٦ .

إن المنطق السليم ، هو أن (الكلّ) أهم من (الجزء) ، ومصلحة (الكلّ) فوق مصلحة (الجزء) ، وفى هذه الحالة ، تكون مصلحة الصين أهم من مصلحة الحزب .

ولكنّ منطق الأحزاب يخالف ذلك تماماً .

إن العسكرى المخلص لوطنه ، الحريص على إعلاء شأنه ، هو الذى يبذل كل جهده لخدمة جيشه كأنما خلق لهذا الغرض فقط دون أن يضيع طاقاته بدداً فى أمور جانبية أخرى .

وإذا كُتبَ لبلد ما أن يقوم كلُّ فرد من أبنائه بواجباته المسؤول عن إنجازها موظفاً مدنياً أو عسكرياً ، فإن ذلك البلد سعيد غاية السعادة بأبنائه وسيشق طريقه قُدماً نحو التقدم والرقى .

إنّ الإخلاص للوطن ، هو القيام بالواجب بحرص ودقة وإتقان ، والابتعاد عن كل ما يمس الوطن من بعيد أو قريب بضرر مهما يكن ذلك الضرر طفيفاً ، وأن يكون ولاؤه للوطن ولمصلحته العليا أولا ، لا يوالى عدواً لوطنه ولا يجامل على حساب المصلحة العامة،ويقاوم الظلم والظالمين، ويعادى الاستعمار وأذنابه ، وأن يكون مستقيماً فى سيرته ، يعتبر نفسه حين يكون فى المسؤولية خادماً لأفراد شعبه لا سيداً لهم .

تلك هى بعض مزايا الذين يعملون من أجل بلادهم حقاً ، ويضاف الى العسكرى مزية معرفة واجباته العسكرية كل المعرفة ، وأن يدأب على تجديد معلوماته العسكرية باستمرار ، لأن المعلومات العسكرية تتجدد كل يوم ، فإذا لم يلاحق العسكرى ما استجد من معلومات ، فإن القطار سيفوته ويبقى متخلفاً فى المحطة ولا يصل إلى هدفه فى خدمة الجيش .

هذه هى الخطوط العريضة لمزايا العسكرى،أما القائد العسكرى ، فيجب أن يتحلى زيادة على ذلك بمزايا أخرى ، أهمها قابلية إعطاء القرارات السريعة الصحيحة ،وقابلية التنفيذ ، وأن يكون موضع ثقة رجاله ومحبتهم، وهو بدوره يبادلهم حباً بحب وثقة بثقة ، وأن يكون قوى الشخصية ذا إرادة وسيطرة ، له ماضٍ ناصع مجيد .

ولقد ذكرت هـذه المزايا لأطالب قادة السياسة العرب أن يقتصروا عليها فى العسكريين ، وألا يحملوهم من أمرهم ما لا يطيقون .

وإذا كان المرء مخلصاً لعقيدته وأمته ووطنه حريصاً على مثله العليـا ، أميناً على مصير بلاده ، فلا بد أن يذكر بصراحة ، أن الجيوش العربية فقدت كثيراً من القادة الممتازين لأنهم لم ينحرفوا فى تيار الحزبية ، أو لم يجاملوا دون مبرر مسؤولا حزبياً ، أو لم يستمتعوا بالشعارات الحزبية ، أو لم يستطيعوا أن يتهاونوا فى واجباتهم العسكرية لغرض حضور الاجتماعات وسماع الخطب ، أو وجدوا أن كرامتهم لا تطاوعهم أن يكونوا هتافين ... الخ .

إن العسكرى الحق ، يستغرق عليه عمله العسكرى بياض يومه وقسماً من سواد ليله ، وحين يأوى إلى فراشه متعباً تراوده الأفكار والآراء التى يخدم بها جيشه .

ولست أنسى كيف كنا نذهب إلى المعسكر مشياً على الأقدام،فإذا وصلنا قاعات الجنود وجدناهم يغطون فى نومهم ، لأن بوق النهوض لم يصدح ، ولأن وقت النهوض لم يحن ، وكان الضباط يدخلون قاعات النوم على رؤوس أصابعهم ، لئلا يوقظوا جنودهم، فإذا صدح بوق النهوض كان أول مايفتح الجنود عيونهم عليه هو منظر ضباطهم ، يشجعون هذا ، ويداعبون هذا ، ويسألون عن صحة أحد الجنود ، ويستفسرون عن مشاكلهم . فإذا نهض

الجنود ، نهضوا حديداً ، وهم قد صمموا على أن يؤدوا واجبهم اليومى تدريباً وحراسة ، وعملا وتهذيباً وتثقيفاً .

فإذا انتهى الدوام الرسمى ، وعاد الجنود إلى القاعات ، آوى الضباط إلى مقراتهم لينجزوا واجباتهم الإدارية ، وليعدوا مناهج التدريب، وليكتبوا المحاضرات ، ولينظموا دروس التهذيب. فإذا أكملوا كل ذلك ، يمموا شطر دورهم مع كل ضابط منهم حقيبة مثقلة بالتمارين والمحاضرات والسجلات الإدارية زاداً يقضون به وقتهم فى الليل .

إنّ الواجبات العسكرية تحتاج إلى كل وقت الضابط الذى ينظم وقته ويحاسب نفسه على اللحظات ، ثم يجد وقته أقل بكثير من واجباته ، وإذا كان هناك من يتمنى أن يمتد الوقت ويطول ، فهم الضباط فى الجيش .

وإذا قدرنا أن موسم التدريب الفردى أقل عملا من موسم التدريب الإجمالى ، وأنّ على الضابط واجبات إضافية ليست من صميم واجباته الأصلية ، ولكنه يُدعى لتحمل أعبائها كالفيضان مثلا ، إذ لولا الجيش لغرقت بغداد عام ١٩٥٤ ، قدرنا كم هى واجبات الضابط فى أيام السلام .

فكم تكون واجبات الضباط أيام الحرب ؟ !

ولقد دعى للخدمة فى الجيش محامون ومهندسون وأطباء وصيادلة ، فلما رأوا الجهد الذى يبذله الضباط ، أبدوا دهشتهم وذكروا أن ما يبذله الضباط فوق طاقات البشر .

إنّ من مصلحة الشعب والوطن أن يُترك العسكريون يتفرغون لواجباتهم العسكرية ، فلا يزجّون فى خِضَم [1] السياسة ذات الأمواج المتلاطمة والمدّ والجزر .

---

(١) الخضم : البحر الواسع .

والجيش الذى يعمل فى السياسة ، ولايعمل فى واجبه ، ليس جيشاً ، بل هو حزب من الأحزاب .

بل إن الجيش الذى يتغلغل فيه حزب ما ، يكون رد الفعل فيه تغلغل حزب يقاوم الحزب الأول ، فيبدأ التناحر بين الحزبين أو بين الأحزاب فيه ، ويختل الضبط ولا يتعاون رجاله تعاوناً صادقاً ، بل يتربص كل حزب فيه بالحزب الآخر .

والجيش ضبط وتعاون ، ولا جيش بدون ضبط ولا تعاون .

وقد رأينا عجباً فى أيام عبد الكريم قاسم ، حيث حاول الحزبيون أن يستحوذوا على الجيش العراقى ، فكان صراع عنيف ، وكانت مآسى ، وانتهت المأساة بالقضاء على قاسم العراق .

وكلُّ مخلص للجيش ، لايحب أن تتكرر تلك المأساة المحزنة مرة أخرى .

وأرجو ألا يصل الغباء بأحد فيقول: الجيش من الشعب ، فلابد أن تؤثر فيه ماتؤثر على الشعب من تيارات حزبية ، فينخرط أفراده فى الحزب الذى يفضلونه على غيره .

ومعرفة التيارات السياسة شىء ، والانغمار فيها وترك الواجب الأصلى شىء آخر .

وتلمُّس آلام الشعب وآماله شىء ، والانتساب إلى الأحزاب شىء آخر .

إن حزب الجندى ، هو العسكرية بما فيها من تكاليف ، والجندى المثالى

مطيع يتحلى بالضبط المتين ، وولاؤه لضباطه وقادته فى الجيش ، لا للمسؤلين الحزبيين فى خارجه .

فإذا كان ولاء الجنـــدى مزدوجاً ، أو كان ولاؤه لحزبه لا لقادته ، فلا يسمى هذا الجيش جيشاً ، بل هو شيء آخر بعيداً عن الجيش .

وقد كان هتلر لايحب المشير فون رونشتد[1] ولا أمثاله من العسكريين المحترفين ، ولكنه أبقاهم فى الجيش حفاظاً على كفاية الجيش وصلابته .

ولعل من أسباب اندحار ألمـانيا فى الحرب العالمية الثانية ، هى محاولة هتلر زج الجيش الألمـانى فى السياسة ، وثقته بالضباط الحزبيين وتفضيلهم على غير الحزبيين ، دون النظر إلى الكفاية والمقدرة العسكرية .

وتدريب الجيش وإدارته ، مهنة يتقنها الضباط ذوى الكفايات العالية ، المتفرغون لواجباتهم العسكرية فقط ، وقد لايعرفها الذين كرسوا أوقاتهم للسياسة والحزبيـــة ، ولم ينصرفوا كلياً لخدمة واجباتهم العسكرية فى الجيش .

وقد يكون بإمكان المرء أن يكون رئيساً للجمهورية أو رئيساً للوزراء أو وزيراً ، ولكن ليس بإمكان كل رجل أن يكون ضابطاً فى الجيش بكل مافى الضابط من معنى .

والبزّة العسكرية ، وحمل الرتب والنياشين ، ليست كافية ليكون الضابط ضابطاً حقاً ، إذ لابد من سهر الليالى والعمل الدائب والفهم الصحيح

---

(١) أنظر كتاب : المشير فون رونشتد — الجنرال كونثر بليمونتريت — بيروت — ١٩٦٥ — الطبعة الثانية .

والحرص الشديد واليقظة والانتباه والتفرغ الكامل ليصبح الضابط ضابطاً مفيداً لا من قوارير .

وكم يحزّ فى نفس المخلص لشعبه ، أن يجد الكفايات العالية من الضباط فى دورهم ، حرمتهم الظروف من مهنتهم التى أخلصوا لها ، وأكثرهم لايعرفون حتى اليوم كيف ولماذا حرموا من شرف الخدمة العسكرية .

ولا يهزنى شىء هزاً عنيفاً ، كما يهزنى سماع أنباء إحالة ضباط ممتازين إلى التقاعد[1] ، وهم فى أوج مقدرتهم على العمل .

تُرى ! أما لهذا الليل من آخر ؟ !

والذين يحاولون أن يجعلوا أمور الجيش فى أيدى ضباط ضعفاء ، كالذين يحاولون أن يجعلوا من المهندسين مثلا أطباء .

وكما أن الطبيب المزيف ، يقضى على المرضى ويسكنهم القبور ، فإن للضابط المزيف يسوق جنوده إلى الموت الزؤام .

ولكن الفرق بين الطبيب المزيف والضابط المزيف ، أن الأول يقضى بالموت على الأفراد ، وأن الثانى يقضى بالموت على الجماعات .

إن الضابط الممتاز ، والقائد الممتاز ، لايمكن أن يكون كذلك بإصدار المراسيم أو بإعطاء الرتب دون مسؤولية ولا نظام .

إن المراسيم لاتصنع ضابطاً وقد تصنع سياسياً ، والحزب لايصنع ضابطاً بأمر حزبى وقد يصنع رئيساً للوزراء .

---

(١) المعاش .

وسيقول الحزبيون : وكيف نطمئن إلى ولاء الجيش إذا لم نجعل قيادته بيد الحزبيين ؟

أولا : إن الجيش خاضع للسياسيين ، ومن واجبه تنفيذ أوامرهم .

ثانياً : إن تولية حزبي أو حزبيين قيادة الجيش دون حق يؤدي إلى نتائج عكسية ، إذ يخسر الحزب ولاء الجيش إلى الأبد ويشيع فيه التذمر .

كما أن حزبياً أو عدداً من الحزبيين ، لا يمكن أن يسيطروا على جيش كامل ، ومصير الحزبي أو الحزبيين الفشل الأكيد .

ثالثاً : إن قيادة الجيش القوية الأمينة لا يمكن أن تضرب أحداً من الخلف .

رابعاً : إن الذي يضمن ولاء الجيش للحزب أو للسياسيين ، هو أعمالهم المجدية للشعب والوطن .

ولا ولاء لمن يلحق بشعبه وبلاده الأضرار كائناً من كان .

ومن الخطأ الفاحش الذي لا يغتفر ، أن يظن بعض الناس أنهم هم الوطنيون وحدهم دون سائر الناس .

إن الادعاء بالوطنية والإخلاص لا يكفي أبداً ، بل لا بد من أعمال ملموسة تثبت مثل هذا الإدعاء .

واتهام الناس جزافاً بالخيانة والعمالة والرجعية ... إلخ من هذا الشريط الذي أصبح لكثرة ترديده معروفاً حتى للأطفال ، لا يخدم غير إسرائيل ومن وراء إسرائيل والاستعمار وعملاء الاستعمار ، وصدق الله العظيم :

« يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأٍ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالةٍ فتصبحوا على مافعلتم نادمين[١] » .

وليس من مصلحة أحد أن يتهم أحداً زوراً وبهتاناً ، لأن الحق يظهر ولو بعد حين ، ولأن السهم الظالم يعود إلى نحر صاحبه .

وكل بناء يقام بغير أساس ينهار ، وكل هيئة سياسية أو حزبية تقوم على أساس لاأخلاق تفشل .

والتاريخ البعيد والقريب خير شاهد على مانقول .

فكيف نقوى الجيش ؟

كل جيش يقوم على دعامتين : مادية ومعنوية .

الدعامة المادية تتلخص فى: تدريب الجيش تدريباً ممتازاً على استعمال سلاحه وأجهزته ، وإكمال تدريبه الفردى ، ثم إكمال تدريبه تدريباً إجمالياً على أعماله فى الحرب .

وأؤكد هنا على ضرورة التدريب الإيجابى والسلبي على الحروب النووية .

وتنظيم الجيش تنظيماً حديثاً ، يجعل صنوفه قادرة على التعاون فيما بينها ، ويجعله قادراً على تحمل أعباء القتال .

وتسليحه تسليحاً جيداً ، يجعله قادراً على حشد أفواه نارية لاتقهر فى الحرب .

وتجهيزه تجهيزاً متكاملا ، يساعده على إنجاز واجباته بكفاية ويسر .

---

(١) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ٦) .

وتنظيم قيادته وتطعيمها بالقادة الممتازين ، يجعل الجيش يثق بقادته ويضحى تحت رايتهم ويطمئن إلى توجيهم السديد .

أما الدعامة المعنوية ، فتتلخص : بالضبط[١] المتين ، إذ الفرق بين الجيش والمدنيين ، هو تحلّي الجيش بالضبط .

والضبط وحده ، هو الذى يجعل العسكرى ينفذ الأوامر عن طيبة خاطر فى السراء والضراء وحين البأس دون تردد .

والانسجام الفكرى ، يخلق من الجيش كتلة واحدة متماسكة متعاونة تسعى بانسجام وتوافق لتحقيق هدف واحد بقيادة واحدة .

وقد كان من أسباب فشل الجيش الألمانى فى الحرب العالمية الثانية ، عدم وجود الانسجام الفكرى بين رجاله ، فكانوا متفاوتين بالاتجاه السياسى وبالكفايات[٢] والميول والاتجاهات .

ومما يرفع المعنويات ، هو الإيمان بالله وبالقدر خيره وشره من الله ، أى أن التمسك بالدين يرفع المعنويات خاصة فى أيام الحرب كما ذكرنا سابقاً .

إن الجيش فى واقعه مدرسة للشعب ، لأن الجنود يلتحقون به من كل جزء من أجزاء القطر . وفى خلال الخدمة العسكرية يجرى تثقيف الجنود وتهذيبهم ، فيعودون إلى أماكنهم وهم يحسنون القراءة والكتابة إلى درجة ما ، وقد تزودوا بمعلومات عامة مفيدة ، ومن المؤكد أن هؤلاء يؤثرون على المحيط الذى يعيشون فيه من ناحية الثقافة وإشاعة الذوق والنظام اللذين غرسهما الجيش فى نفوسهم خلال الخدمة العسكرية .

---

(١) الانضباط .

(٢) أنظر فصل : الجيش الجديد ، من كتاب : المشير فون رونشتد .

والجيش مصنع الرجال ، فقد يدخل فيه الشاب وهو ضعيف البدن عليل الصحة ، متميعاً كسولا ، فلا يكاد هذا الشاب ينهض مبكراً للتدريب ، ويتدرب تدريباً عسكرياً عنيفاً ، ويمارس الألعاب الرياضية ، ويتناول طعاماً فى أوقات منتظمة ، إلا ويصبح شخصاً آخر فى صحته وعافيته ، وفى نشاطه وحيويته ، وفى ضبطه ونظامه ، فيكون عنصراً مفيداً فى الأمة ، بعد أن كان على هامش الحياة .

كما أن الاختلاط المستمر بين أفراد الجيش : فى قاعات النوم ، وفى التدريب ، وفى الألعاب الرياضية ، وفى المطاعم العسكرية ، وفى صفوف المحاضرات والتهذيب ، كل ذلك يجعل من الشباب الذى كان منطوياً على نفسه منعزلا خجولا ، شاباً آخر اجتماعياً محباً للاختلاط والتعاون مع الآخرين .

وإذا أردنا أن نستقصى فوائد الجيش للشعب ، لعددنا فوائد لا تحصى ، ولا يستطيع أن ينكرها أحد ، ولكن ربما يكون فى ذلك إطناب يخرج الكتاب عن موضوعه .

ولكننى لن أترك الحديث عن : تقوية الجيش ، قبل أن أنبه القادة السياسيين إلى بعض النقاط التى تفيدهم وتفيد الجيش على حدٍ سواء .

أولا : إنّ اختيار القادة ذوى الكفايات العالية والنزاهة المطلقة والأخلاق الكريمة والوطنية الصادقة والتجربة الطويلة والماضى المجيد ، يؤدى حتماً إلى تقوية الجيش من أقصر الطرق ، لأن مثل هؤلاء القادة يفيدون ولا يضرون ويعمرون ولا يخربون ، وينتجون ولا يستهلكون ، ويكونون مثالا شخصياً رفيعاً لرجالهم يقتدون بهم ، ويكونون أيضاً موضع ثقة رجالهم بهم وحبهم لهم ، فيضحون من أجل تنفيذ أوامر قادتهم بالغالى والرخيص .

كان من مميزات الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام، أنه كانت له قابلية فذة فى اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب.

وكل قائد عسكرى أو سياسى أو اقتصادى أو فكرى نجح قديماً أو حديثاً فى عمله، فإن نجاحه يتناسب تناسباً طردياً مع قابليته على اختيار الرجال المناسبين للأعمال المناسبة، أى أن القائد كلما كانت مقدرته فى اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب موفقة كلما كان نجاحه كبيراً، والعكس بالعكس.

وقد قرأت، أن أميناً عاماً للحزب الشيوعى فى دولة من دول شرق أوربا حوكم أمام محكمة عسكرية، فأثبتت المحاكمة أنه كان عميلا لدولة من دول الغرب قبل ٢٠ عاماً من تاريخ محاكمته.

وسأله رئيس المحكمة: «كنت موفقاً فى قيادة الحزب مدة طويلة، وكانت قراراتك الحزبية صائبة، فبماذا كنت تخدم تلك الدولة الأجنبية؟».

وأجاب المتهم: «على الرغم من أن قراراتى كانت صائبة، ولكننى فى تنفيذها كنت أختار الرجل ليتولى عملا لا يناسب تجربته وعلمه وكفاياته وقابلياته، مما أدى إلى ارتباك الأمور وضياع الجهود سدى. بذلك خدمت الدولة الأجنبية».

والقادة السياسيون الذين يولون القائد غير المناسب للجيش، سواء كان ذلك بحسن نيه أو بسوء نية، إنما يطعنون جيشهم من الخلف، ولا يخدمون بعملهم هذا غير إسرائيل والاستعمار.

وربّ قائد فى الجيش، يكون وجوده من مصلحة العدو.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا وُسِّد الأمر لغير أهله، فانتظر الساعة»، أو كما قال.

إن القائد المطيع[١] بدون قيد أو شرط للسياسيين ، يكون مريحاً للسياسيين فى أوقات الراحة والدعة والسلام . ولكنه سيكون كارثة على تقوية الجيش وإعداده فى أيام السلم ، وكارثة على مصير الجيش فى أيام الحرب .

ومرة ثانية ، فإن (المراسيم) لا تخلق قائداً ولا تغطى عيباً ولا تمنح كفاية وتجربة ونزاهة وخلقاً ووطنية وماضياً مجيداً . كما أن النياشين والرتب لا تخلق من اللاشيء شيئاً مذكوراً .

وما أصدق المثل العربى القديم : « الكلب حتى بسرج من الذهب كلب » .

ثانياً : إن تقوية الجيش يحتاج إلى قادة وهبوا للجيش وحده حياتهم بكل مافى هذه الكلمة من معانى . والذين يهبون حياتهم لعمل من الأعمال أو لواجب من الواجبات أو لتحقيق هدف من الأهدام ، لا بدّ لهم أن (يتفرّغوا) كلياً لعملهم أو واجبهم أو هدفهم .

والتفرغ للجيش يجعل القائد أو الضابط عسكرياً من أخمص قدمه إلى قمة رأسه ، كما يجعله يستمتع بالقضايا العسكرية وحدها ولا يستمتع بالسياسة وتياراتها خاصة .

إن الاستغناء عن الضباط لأنهم لا ينتمون إلى الأحزاب أو لا يشاركون فى نشاطاتها ، أو لا ينجرفون بتياراتها أو ليست لهم علاقة شخصية برجالاتها ، خطأ فاحش لا مبرر له وخسارة لا تعوّض للجيش والشعب والوطن .

إن الضابط المتفرغ للجيش ، ليس له الوقت الكافى لقضائه فى غير الجيش ، وقد عرفت ضباطاً لا يرتادون النوادى والمقاهى والملاهى وغيرها لأنهم لا يملكون وقتاً لقضائه هناك .

---

(١) Yes General.

فلمصلحة من يُستغنى عن أمثال أولئك الضباط ؟ .

أعرف ضابطاً ممتازاً فى علمه وعمله وإخلاصه ، وقد أحيل على التقاعد فى ظروف سياسية معينة ، وقد تبدّلت تلك الظروف ، فأصبح بإمكانه أن يدّعى بطولات وتضحيات فى مقاومة العهد الذى أخرجه من الجيش فى عهد يناقض ذلك العهد ويناصبه العداء .

ولكن ذلك الضابط بقى ساكتاً ، فسألته : « لماذا أخرجك ذلك العهد الذى مات ؟ . . . » ، فقال : « والله لا أدرى ، إذ لم أعمل على تقويضه ، ولم أشارك فى الشّغب عليه » .

وأكثر الذين أحيلوا على التقاعد من هذا النوع : لايعرفون حتى اليوم لماذا استغنى المسئولون عن خدماتهم ، فحُرموا من شرف خدمة الجيش ، وحرم الجيش من خدماتهم .

إن الذين يستغنون عن الضباط قبل أن يبلغوا سن التقاعد وهم فى ريعان الشباب ، ولغير الأسباب القانونية لإحالة الضباط على التقاعد : الأسباب الصحية ، ولعدم الكفاية ، ولسوء السيرة ، ولزيادتهم على الملاك [١] ، يعاونون فى ذلك من حيث يدرون أو لا يدرون ، إسرائيل والاستعمار وأعداء العرب .

وليس إعطاء الضباط مناصب إدارية عالية أو غير عالية ، أو مناصب سياسية ، أو مناصب أخرى فى الشركات . . . الخ ، مما يعوض على الضباط خسارتهم الكبرى وخسارة جيشهم ، فالمال ليس كل شىء بالنسبة للضابط ،

(١) الملاك : الكادر .

إذ أن رداء الجندية هو أكبر شرف لا يمكن أن يباع أو يشترى بكل مافى الدنيا من مال ومتاع[١] .

والثغرة التى يتركها الضابط الممتاز فى الجيش بعد تسريحه ، لا يمكن أن يسدّها كل من هب ودب من الناس .

إنّ بناء الضابط حتى يكون مفيداً للجيش ، يحتاج إلى وقت طويل وجهود جبارة ، وصدق الشاعر :

يبنى الرجال وغيره يبنى القرى   شتّان بين قرىً وبين رجال

لذلك فخسارة الضباط دون مبرر ، خسارة مضاعفة ، وعمل لا وطنى ولا إنسانى ويناقض الإخلاص للشعب والبلاد .

ثالثاً : إن إقحام الجيش فى السياسة إقحاماً ، يجعل الجيش ينصرف عن واجباته الأساسية إلى واجبات جانبية ليست من صميم أعماله ، ويثير بين صفوفه الأحقاد والمنافسات ، ويحرمه من تعاون رجاله .

وبكلام مختصر جازم ، إن إقحام الجيش فى السياسة ، يجعلة جزباً فيه أجنحة وتناقضات ، ولا يبقى جيشاً بالمعنى الصحيح .

ولعل إسرائيل هى أحرص أعداء العرب ، على زج الجيوش العربية فى خضم التيارات السياسية ، لتترك واجبها الأصلى : الإعداد للحرب ، وحماية الوطن من الأعداء .

إن الاطلاع على الأوضاع السياسية ، ومشاركة الشعب فى أحاسيسه شىء ، والارتكاس بالسياسة شىء آخر .

---

(١) كالذى يقدم اللحم للجواد والتبن للأسد .

وكل جيش يعمل للسياسة ولا لعمل ضمن واجباته ، فى الواقع ، لا يفيد السياسة ويضر الجيش ، وبذلك يكون قد ضيع المشيتين ، وخسر الهدفين ، فلا هو نجح فى السياسة ، ولا هو خدم الجيش [١] .

إن الذين يريدون أن يزجوا الجيش فى السياسة ، يحاولون أن يخدموا أنفسهم على حساب إلحاق أبلغ الأضرار بالجيش .

يجب أن يترك الجيش لواجباته الأصلية وحدها ، ولعن الله السياسة وكل حرف من حروفها ، كما كان يقول الإمام محمد عبده .

رابعاً : إن محاولة خلق تكتلات حزبية أو سياسية فى الجيش محاولة هدّامة للجيش ولكيانه ولتقاليده .

إن هذه المحاولة ستؤدى بالتالى ، إلى خلق عصابات مسلحة فى الجيش تتربص كل عصابة بالأخرى ، وتتناحر فيما بينها كلما وجدت إلى ذلك سبيلا .

والحزب الذى يحاول استمالة بعض العسكريين إلى صفوفه وينجح فى محاولاته ، لا بد أن يحاول غيره من الأحزاب المعادية له ، أن يقتفى أثره فيستميل بعض العسكريين إلى صفوفه أيضاً .

والبادىء فى هذه الحالة أظلم كما يقول المثل ، ولكل فعل رد فعل كما هو معروف ، والنتيجة خراب الجيش .

يجب أن يكون الجيش منسجماً ليكون متعاوناً تجمعه أخوّة السلاح ، والحزبية تحرمه من الانسجام ومن التعاون ومن أخوة السلاح .

---

(١) لا أجد ما يصدق عليه فى هذه الحالة كالمثل العراقى العامى : « لاحظت برجيلها ، ولا خذت سيد على » .
أى لم يبق لها زوجها القديم ، ولا تزوجت سيد على الذى كانت تحلم أن يكون زوجها الجديد .

والحزب الذى يدعى أنه سينظم الجيش وحده ، ويكون الجيش منطقة نفوذ له لا يشاركه فيه أحد ، يغش أول مايغش نفسه ، لأن الأحزاب الأخرى — خاصة المعادية له — ستعمل عمله وتحاول محاولاته ، فيبدأ الخصام وتبدأ المشاكل ، ثم لا تنتهى إلا إلى الخراب والدمار .

إن محاولة الأحزاب استمالة العسكريين إلى صفوفها ، هو سلاح ذو حدين ، إذا نفعها اليوم فسيقضى عليها غداً .

ولعل ما مرَّ بالأحزاب من تجارب عملية ، مايفيدها فى الحاضر والمستقبل ، فلا تقدم على تنظيم أفراد الجيش فى الأحزاب .

إنى أستثير ضمائر قادة الأحزاب ، أن يقلعوا عن تنظيم العسكريين ، فلا أضر على الجيش من تفرق كلمته وتعدد ميوله وأهوائه .

إن لهم مجالات واسعة خارج الجيش ، فليتركوا الجيش لشأنه ، بعيداً عن الأحزاب ، بعيداً عن السياسة .

خامساً : إن (الكيفية) فى الجيش ، أهم من (الكمية) وأكثر فائدة وأعظم نفعاً .

كفاية الجيش وانسجامه وضبطه وتدريبه وتسليحه وتجهيزه بشكل ممتاز ، هى المزايا الخالدة لكل جيش قوى متين .

وقد يكون ألف من العسكريين ، يتحلون بتلك المزايا أجدى وأنفع من مائة ألف من العسكريين لا كفاية لهم ولا انسجاماً ولا ضبطاً ولا نظاماً .

قال رجل لخالد بن الوليد قبيل معركة اليرموك : « ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! ! » ، فقال خالد : « ما أقل الروم وما أكثر المسلمين ! إنما تكثر

الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال ! ! والله لوددت أن الأشقر براء من توجيه[١] ، وإنهم أضعفوا ضعفهم[٢] » .

إن الاهتمام يجب أن ينصب على (الكيفية) أولا ، وبالتدريج يصبح الجيش (كمية) و (كيفية) فى وقت واحد ، وهذا هو الهدف الواضح السليم الذى يعمل من أجل تحقيقه المسئولون عن تقوية الجيش .

أما أن نهتم (بالكمية) ، ولا نعير (الكيفية) اهتمامنا البالغ ، فأمر على جانب كبير من الخطورة ، ولن تكون نتيجته غير إضاعة الجهود والأموال سدى .

وحين استغنى المسؤولون عن كثير من الضباط الممتازين إدعوا أنهم عوضوا عنهم بأضعافهم فى تلاميذ الكلية العسكرية أو من ضباط مستجدين[٣] . . . ! !

وقد لا يعوض عشرات الضباط الأحداث عن ضابط واحد قدير .

والمسألة ليست مسألة مقارنة إعداد الضباط قبل عام بإعدادهم اليوم ، إنما المقارنة الصحيحة السليمة — فى هذا المجال — تكون بالكفايات وللقابليات العسكرية .

إن تقوية الجيوش العربية : كل قطر عربى يعمل على تقوية جيشه بإشراف وتوجيه القيادة العربية الموحدة ، حتى يكون لكل قطر عربى

---

(١) الأشقر : إسم فرس خالد . الوجى : أن يشتكى الفرس من باطن حافره ، يريد بذلك أن الروم لو زادوا إلى ضعفهم لما اكترثت بهم اكتراثى بشكوى الأشقر من حافره .

(٢) الطبرى (٢/٥٩٤) وابن الأثير (٢/١٥٨) .

(٣) المستجدون : جمع مستجد ، وهو حديث الخدمة فى الجيش ، ويطلق على هؤلاء الضباط أيضاً : الضباط الأحداث .

جيش قوى ، ويكون من مجموع هذه الجيوش للعرب جيش قوى واحد يعمل بقيادة عربية موحدة واحدة ، لتحقيق هدف عربى واحد ، هو : تحرير فلسطين .

لقد ذكرت ما أعتقده عن تقوية الجيش ، وفى علمى أن بعض ما أعتقده لا يوافق عليه الحزبيون وبعض السياسيين .

ولكن المصلحة العربية العليا ، فوق مصالح الأشخاص والجماعات .

والحق أحق أن يتبع ، والباطل أحق أن ينبذ ، والرائد لا يكذب أهله .

وحسبى أن أقول الحق ، ولو كره المبطلون .

الوحدة الوطنية

— ٢ —

تعانى بعض البلاد العربية من وجود قوميات متعددة فيها وأديان مختلفة ومذاهب دينية شتى ، وكل ذلك مما يخلق لها مشاكل داخلية حادة تارة وبسيطة تارة أخرى .

وقد كان للاستعمار ضلع فى تعميق الاختلافات القومية والدينية والطائفية بين الشعب الواحد فى القطر الواحد ، عملا بسياسة : « فرّق تسد » ، وذلك لتسهل سيطرة الاستعمار على القطر بأسره ، ويسهل عليه حكمه وإدارته .

ورحل الاستعمار ، ولكن عملاءه وتلاميذه لا يزالون يعملون عملهم المخرِّب فى تفرقة الصفوف وبعثرة الجهود وإشاعة التناحر والخصام .

كما أن آثار الاستعمار فى التفرقة التى مارسها أيام سيطرته ، لا تزال باقية حتى اليوم .

وقد أفاد بعض السياسيين من هذه التفرقة ، فتبناها قسم منهم ، فحصّل باسمها على المناصب والمكانة والمال .

وإذا كان للاستعمار العذر فيما صنع بالأقطار العربية من تفرقة قومية أو دينية أو طائفية ، لأن المستعمر عدو للشعب ، والعدو لا يريد الخير والوحدة والقوة لعدوه فى حال من الأحوال .

وإذا كان لأذناب الاستعمار وعملائه وتلاميذه العذر فى السير على آثار

أسيادهم حذو النعل بالنعل ، لأن هؤلاء جزء لا يتجزأ من الاستعمار ، ولأن حياتهم وحاضرهم ومستقبلهم متوقف على مصيره .

فما عذر السياسيين الذين يدّعون أنهم يتقبلون المناصب الكبيرة (تكليفاً) لا (تشريفاً) ، ويحملون الشعارات المختلفة أمام الناس فى العلن ، ثم يعملون فى السر ليلا ونهاراً للتفرقة القومية أو الدينية أو الطائفية ؟ .

ما عذر هؤلاء السياسيين الذين يتسنمون المناصب الرفيعة باسم التفرقة القومية أو الدينية أو الطائفية ، فيدعون أنهم وحدويون لا يرضون بأقل من الوحدة من المحيط إلى الخليج ، ثم هم يفرقون بين طائفة وطائفة ، بل بين أهل مدينة ومدينة ، بل بين (صوب) الكرخ و (صوب) الرصافة ؟

هؤلاء السياسيون يخرّبون ولا يعمرون ، ويهدمون ، ولا يبنون ، ويفرّقون ولا يوحدون .

هؤلاء مكانهم بين صفوف أعداء العرب ، ويجب ألا تنطلى أحابيلهم على أحد من العرب المخلصين بعد اليوم .

إن الذين يدعون إلى التفرقة بين القوميات المتآخية فى القطر العربى الواحد ، ليبتزوا من وراء ذلك مغنما أو منصباً أو مالا أو جاهاً أو شيئاً من متاع الدنيا ، إنما هم خونة عريقون فى الخيانة ، وهم من أعوان الاستعمار وورثته الملوثين بأدرانه .

والذين يدعون إلى التفرقة الدينية بين الشعب الواحد فى القطر الواحد ، ليرتقوا على أكتاف غيرهم من أبناء وطنهم ، فى حين ينهار وطنهم ويتمزق ، ليقتنصوا شيئاً من متاع الدنيا الذى هو متاع الغرور ، إنما هم خونة عريقون فى الخيانة ، وإنما يأكلون فى بطونهم ناراً .

والذين يدعون إلى التفرقة الطائفية بين الدين الواحد فى القطر الواحد ، ليرتفعوا إلى منصب زائل أو لينالوا مكانة زائلة ، إنما هم خونة عريقون فى الخيانة ، وهم مدسوسون على طائفتهم أولا وعلى دينهم ثانياً وعلى بلادهم أخيراً .

وهؤلاء الخونة العريقون فى الخيانة ، يجب أن تخرس ألسنتهم إلى الأبد .

يجب أن يكافح العرب المخلصون الدعوة إلى (التفرقة القومية) ودعاتها ، ويُظهروا أخطار هذه الدعوة وزيف دعاتها ، وصدق الله العظيم : « يا أيها الذين آمنوا ، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم »[1] .

يجب أن يكافح العرب المخلصون الدعوة إلى (التفرقة الدينية) ودعاتها ، ويظهروا أخطار هذه الدعوة وزيف دعاتها ، وصدق الله العظيم: «لا إكراه فى الدين ، قد تبيّن الرشد من الغى »[2] .

يجب أن يكافح العرب المخلصون الدعوة إلى (التفرقة الطائفية) ودعاتها ، ويظهروا أخطار هذه الدعوة وزيف دعاتها ، وصدق الله العظيم: « أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »[3] .

وقال : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات »[4] . وقال : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء »[5] .

---

(١) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ١٣) .
(٢) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٥٦) .
(٣) الآية الكريمة من سورة الشورى (٤٢ : ١٣) .
(٤) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٠٥) .
(٥) الآية الكريمة من سورة الأنعام (٦ : ٥٩) .

إن الوحدة الوطنية ، هى الخطوة الأولى ، للوحدة العربية الشاملة .

ولا وحدة عربية شاملة بدون وحدة وطنية رصينة .

بل إن الوحدة الوطنية ، هى الأساس القوى للوحدة العربية الشاملة .

والبناء الذى يقوم على أساس قوى ، يبقى ثابتاً قوياً . أما الذى يقوم على أساس واهٍ ، فلا يبقى ولا يدوم .

إن الوحدويين المخلصين حقاً ، هم دعاة الوحدة الوطنية فى نفس الوقت .

والوحدة الوطنية دعامة نجاح القطر العربى ودليل قوته ، وبدونها لا نجاح ولا قوة .

وحتى الجيش القوى ، أساسه الوحدة الوطنية ، ولا جيش قوياً يكون مؤلفاً من رجال مختلفى النزعات والاتجاهات : تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى .

التعــــاون

— ٣ —

من الأخطاء الشائعة فى الأقطار العربية ، أن العرب يريدون كل شىء من حكوماتهم ، ولا يكادون يعملون شيئاً لمساعدتها ومعاونتها .

والحكومة تفشل مهما تكن قوية متينة ، إذا لم تحظ بمعاونة الشعب لها ، وإلا كانت كالرجل الذى بإمكانه أن يحمل على ظهره خمسين رطلا ، بينما هو يحمل أضعاف هذا الوزن ، فلا يكون مصيره غير الانهيار .

وإذا ركزنا واجبات الشعب نحو حكومته فى قضية فلسطين ، يمكن أن نذكر :

أولا : مشاركتها فى جمع المال الذى تلتزم بدفعه إلى منظمات فلسطين ، وبذلك يخفف الشعب عن حكومته بعض نفقات الميزانية .

ثانياً : إشاعة الوعى بين أفراد الشعب عن قضية فلسطين ، وتعميق آثارها فى النفوس حتى تبقى عالقة فى الأذهان أبداً ، وحتى تتجدد طاقات الحقد المقدس عند العرب لأخذ الثأر وإنقاذ فلسطين .

ثالثاً : إسناد منظمات فلسطين مادياً ومعنوياً ، وتحطيم الشائعات التى تمسها من قريب أو بعيد .

رابعاً : مراقبة المشبوهين من يهود وعملائهم ، ومراقبة كل من يشتبه بأن له صلة بإسرائيل .

وليس سراً أن إسرائيل لهـــا شبكات تجسسية فى مختلف أنحاء العالم ، وقد يكون حرص العرب وشدة حذرهم ويقظتهم مايعين الحكومات

العربية على كشف كثير من مخططات إسرائيل للتجسس على البـلاد العربية .

خامساً : تأسيس جمعيات مؤلفة من الفلسطينيين العائدين وبعض أبناء القطر العربى ، لمعاونة العائدين وتسهيل أعمالهم وإلقاء المحاضرات وإصدار النشرات عن قضية فلسطين ... الخ .

يجب ألا تترك الشعوب العربية حكوماتها وحدها فى تحمل قضية فلسطين ، فإن ذلك يخفف عن الحكومات العربية بعض أعبائها ، ويخرج قضية فلسطين من نطاق الواجب الحكومى ، إلى نطاق الواجب الحكومى والشعبى معاً ، ويدفع قضية فلسطين دفعات قوية إلى الأمام نحو تحقيق أهدافها : إنقاذ فلسطين .

الالتزام

— ٤ —

يجب أن يبدأ الالتزام بقضية فلسطين من ضمير الفرد ، ثم يمتد إلى محيط الجماعة ، وإلى مسؤولية الشعب ، وإلى واجب الحكومة .

كل فرد عربي ملتزم التزاماً عميقاً بقضية فلسطين ، لافرق في ذلك بين مسؤول وغير مسؤول ، إلا أن يكون واجب المسؤول أكبر وأثقل من واجب غير المسؤول .

وكل شعب عربي ملتزم التزاماً عميقاً بقضية فلسطين ، لافرق بينه وبين حكوماته إلا أن يكون واجب الحكومات أكبر وأثقل من واجب الشعوب .

إن قضايا العرب كثيرة ، ولكن قضية فلسطين هي أهم من كل قضايا العرب الأخرى ، ولها الأسبقية على تلك القضايا دون استثناء .

وإذا كان الشعب العربي ، يغفر لمسؤول أو غير مسؤول تهاونه في بعض القضايا العربية ، فإن هذا الشعب لن يغفر في يوم من الأيام تهاون مسؤول أو غير مسؤول في قضية فلسطين .

التزام الفرد العربي نحو قضية فلسطين ، يبدأ بالدعم المادي والمعنوي ، وينتهي بالتضحية بالمال والنفس في قتال إسرائيل .

والتزام الجماعة العربية نحو قضية فلسطين ، يبدأ كذلك بالدعم المادي والمعنوي ، وينتهي بتنظيم التطوع للقتال على أرض فلسطين .

والتزام الشعوب العربية في الأقطار العربية ، يبدأ بمراقبة حكوماتها

وحثها على بذل كل طاقاتها المادية والمعنوية من أجل فلسطين ، وينتهى في تنظيم التطوع للقتال فى معركة الثأر .

أما التزامات الحكومات العربية ، فتبدأ بالتزاماتها المادية والمعنوية لقضية فلسطين نحو منظمات فلسطين التى أقرت فى مؤتمر القمة ، وعدم التهاون فى تنفيذها نصاً وروحاً مهما تكن الظروف والأحوال ، وتنتهى بإعداد الجيش والشعب مادياً ومعنوياً للاستقتال فى حرب فلسطين .

وقد تنشب اختلافات بين الأفراد العرب ، وقد تنشب اختلافات بين الجماعات العربية ، وقد تنشب الاختلافات بين الحكومات العربية .

وكل ذلك أمر طبيعى لاغرابة فيه .

ولكن الاتفاق يجب أن يسود الأفراد والجماعات والحكومات والشعوب فى قضية فلسطين بالذات .

إن هذه القضية هدف من أهداف العرب العليا ، بل هى أكبر أهداف العرب وأهمها على الإطلاق .

لابد أن تكون قضية فلسطين فوق مستوى الخلافات العربية ، بل لابد أن تكون هذه القضية هى نقطة التقاء الحكومات العربية للقضاء على كل اختلافاتها الموجودة فى الحاضر أو التى ستنشب فى المستقبل .

إن قضية فلسطين تستحق أن يتناسى العرب من أجلها خلافاتهم ، لتحقيق هدفهم الأكبر : القضاء على إسرائيل .

والذين يجعلون من هذه الخلافات وسيلة للتملص من التزاماتهم المالية والمعنوية نحو قضية فلسطين ، إنما يفرطون بكرامتهم وسلامتهم قبل أن يفرطوا بكرامة وسلامة قضية فلسطين ، وسيندمون حتماً ولات ساعة مندم .

بناء الرجال

— ٥ —

ليس كلُّ قائد أو زعيم يستطيع بناء الرجال ، ليكونوا فى المستقبل عماد الوطن وركنه الركين .

والقائد الحق ، أو الزعيم الحق ، هو الذى يتميز ببناء الرجال وخلق جيل منهم قادر على السير بالبلاد إلى شاطىء السلامة ، وتحمُّل أعباء الحكم بكفاية ومقدرة وقوة وإيمان .

وإذا سألنى سائل : « ما الفرق بين القائد الحق أو الزعيم الحق ، وبين القائد المزيف أو الزعيم المزيف ؟ » . لأجبت بدون تردد : « إنّ القائد الحق أو الزعيم الحق ، هو الذى يبنى الرجال ، والقائد المزيف أو الزعيم المزيف هو الذى يحطم الرجال » .

وقد وجدنا قادة وزعماء ، جاءت بهم الظروف ووضعتهم فى مركز السيطرة والقوة والحكم ، كلُّ همهم تقريب الإمّعات والمنافقين والهتافة وأشباه الرجال .

إنه يريد — فى حياته — أن يأمر فيطاع ، وأن يقابل بالهتاف والتصفيق ، والإجلال والإكبار ، والمدح والثناء ، حتى يُرضى فى نفسه خصلة : عبادة الشخصية ، وحبّ الظهور ...

فإذا مات — وكل حىّ إلى فناء — تردّت الأوضاع ، وساءت الحال ، ولم يستطع أحد ممن حوله أن يملأ مكانه ... وهنا الطامة العظمى ...

وما هكذا تكون القادة !

وما هكذا تكون الزعامة ... !

إن القائد الملهم أو الزعيم الفذ ، هو الذى يستقطب حوله الرجال الأقوياء الأمناء المخلصين ، وقوة هؤلاء قوة له ، وأمانتهم سند لشعبه ، وإخلاصهم دعم لوطنه .

ولكن عيب هؤلاء الرجال الأقوياء الأمناء المخلصين، أنهم لا يكونون هتافين ولا مداحين يُزجون المديح بمناسبة أو بغير مناسبة .

وعيبهم أنهم يواجهون القائد أو الزعيم بالحقائق الناصعة ، مهما تكن قاسية مُرّة ...

وعيبهم أنهم (دائماً) لا يضربون من الخلف، ولا يحبون أن يرتفعوا على أكتاف الآخرين .

إنى أوجه النصح الخالص لوجه الله لزعماء العرب وقادتهم،أن يكونوا أشد حرصاً فى اختيار الرجال المناسبين للعمل المناسب ، دون الركون إلى العاطفة أو المحسوبية أو المنسوبية أو علاقات القربى والحزبية ... الخ .

وإليهم أسوق الدرس من سيرة سيد القادات وقائد السادات محمد بن عبد الله صلوات الله وتسليمه عليه .

كان عليه الصلاة والسلام يُدرك كلّ الإدراك ، أن كل إنسان لا بد أن يعانى نقصاً فى ناحية من نواحيه الخلقية ، وأن الكمال لله وحده ، فكان يغض الطرف عن ناحية النقص فى صاحبه ويستفيد من ناحية الكمال ، فلا يكون ذلك النقص سُبّة ومثلبة على صاحبه ، لأنه كان عليه الصلاة والسلام يبرز ناحية الكمال فينوه بصاحبها ويذكره ويثنى عليه .

كان من بين أصحابه من امتاز بناحية القيادة ، لجعله قائداً .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالثراء ، فأفاد المسلمون من ماله ، ولم يكلفه بمصاولة الصناديد والأبطال .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالرأى الثاقب ، فأفاد من آرائه وحكمته .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالشعر ، فأفاد من شعره .

وكان . . . وكان . . .

سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فى أيام عمرة القضاء الوليد بن الوليد أخا خالد بن الوليد قائلا : « أين خالد ؟ » ، ثم قال : « ما مثل خالد من جهل الإسلام،ولو كان جعل نكايته وجَدَّه مع المسلمين على المشركين ، لكان خيراً له ، ولقد مناهُ على غيره [1] » .

وكتب الوليد بذلك إلى خالد ، فكان ذلك سبب هجرته الى المدينة المنورة وإعلان إسلامه [2] .

وقدم خالد المدينة فى أول يوم من صفر سنة ثمان الهجرية[3].قال خالد: فلما طلعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سلمت عليه بالنبوة، فرد عليه السلام بوجهٍ طلقٍ ، فأسلمتُ وشهدت شهادة الحق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد كنت أرى لك عقلا رجوتُ ألا يسلمك إلا إلى خير . وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقلت : استغفر لى كلَّ

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/٣٩٤) .

(٢) الإصابة (٦/٣٢٣) .

(٣) الطبرى (٢/٣١٥) وابن الاثير (٢/٨٨) وتاريخ أبى الفدا (١/١٤٢) ، وانظر قصة إسلامه فى صفة الصفوة (١/٢٦٨ ـ ٢٦٩) .

ما أوضعت فيه من صدٍّ عن سبيل الله ، فقال : إن الإسلام يجبُّ (١) ما كان قبله . قلت يا رسول الله،على ذلك ! قال : اللهم اغفر لخالد بن الوليد كلَّ ما أوْضَعَ فيه من صدٍّ عن سبيلك . . . فو الله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أسلمت يعدل بي أحداً من أصحابه فيما يحزنه (٢)» .

وولّى النبي صلى الله عليه خالداً قيادة الرجال بعد إسلامه مباشرة .

وما يقال عن خالد ، يقال عن عمرو بن العاص أيضاً، فقد ولاه قيادة الرجال بعد إسلامه مباشرة أيضاً (٣) ، وقال عن خالد وعمرو حين قدما مسلمين : « ألقت إليكم مكة أفلاذ كبدها » ، يعني أنهما وجوه النـاس من أهل مكة (٤) .

وكان عثمان بن عفان غنياً فأفاد من ثرائه ، فابتاع للمسلمين مربداً (٥) بعشرين ألفاً ، وابتاع للمسلمين بئر (رومة (٦)) ، وجهز جيش العسرة(٧) حتى ما يفقدوا عقالا ولا خطاما (٨) ، ولم نسمع أن الرسول القائد عليه الصلاة والسلام كلف عثمان بمنازلة الأقران في الحرب .

وكان حسان بن ثابت شاعراً ، فاستفاد من قابليته الشعرية للدفاع عن الإسلام ، ولـكنه كان يتركه مع النساء عندما يخرج للقتال (٩) .

---

(١) يجب : يقطع ويمحو ما كان قبله من الـكفر والذنوب.
(٢) طبقات ابن سعد (٤/٢٥٢) و (٧/٣٩٤).
(٣) طبقات ابن سعد (٤/٢٥٩) وفتح مصر والمغرب (٢٤٣) .
(٤) أسد الغابة (٣/٣٧٢) والاستيعاب (٣/١٠٣٤) .
(٥) مربد : موضع يجعل فيه التمر لينشف .
(٦) بئر رومة : بئر في عقيق المدينة . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٤) .
(٧) جيش المسلمين في غزوة تبوك بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم .
(٨) سنن النسائي (٢/١٢٤) . وانظر حاشية السندي على النسـائي على هامش سنن النسائي (٢/١٢٤) .
(٩) سيرة ابن هشام (٣/٢٤٦) .

وكان على بن أبي طالب رضى الله عنه أشجع الشجعان ، فكان يخرجه لمبارزة الأبطال يوم النزال[١] .

كان يعرف مزايا كل أصحابه ، فيفيد من مزاياه ويبرزها للعيان ، ويغضّ الطرف عن نواقصه ويتستر عليها .

وكان ذلك من أسباب انتصار النبي صلى الله عليه وسلم عسكرياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً ، فلما التحق بالرفيق الأعلى، كان بين المسلمين قادة وأمراء ، ورجال قادوا الأمة الى المجد والسؤدد والخير .

فهل يفعل قادة العرب وزعماؤهم اليوم ، ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم : يفيد من مزايا أصحابه ويظهرها ويثني عليها ، ويتستر على نواقصهم ويذكرهم بأحسن ما فيهم من خصال ؟ أم هم يفعلون العكس تماماً ، يذكرون المعايب ويغضون الطرف عن المزايا ؟؟!!

إنهم لا يكادون يجدون عيباً فى رجل من رجالهم ، إلا وشهروا بذلك العيب ونسوا أو تناسوا مزاياه الأخرى .

والأكثر من ذلك ، أنهم يحاولون اختلاق العيوب وإلصاقها بالناس ظلماً وعدواناً .

ولعلّ أكثر نشاطهم ينصب على الذين يلمعون وتظهر أسماؤهم نقية صافية ، فيطفئون الشموع التى بدأت تضيء الدروب للناس .

نصيحة لله ... أن يتخلوا عن أنانيتهم ، لأن الذى يقضى على العناصر الخيرة لا يكون صديقاً ، بل هو فى صفوف الأعداء .

---

(١) أنظر التفاصيل فى : الرسول القائد (١٠٠) .

يجب أن نستفيد من مزايا الناس ، ونظهر تلك المزايا ، وننوه بها ، ونعمل على إبرازها ، لتؤتى أكلها مرتين .

إن التشجيع يصنع المعجزات ، ويبنى الرجال ، والمناصب ليست لأحد ، إذ لو كانت لأحد لما وصلت إلى الذين يتسنمونها اليوم .

لقد تعاقب عليها كثيرون ، ولم يحفظ التاريخ لأحدهم ذكراً حميداً كما حفظ للذين بنو الرجال ، حتى إذا جاء يومهم ، خلفهم أولئك الرجال ، فكانوا خير خلف لخير سلف .

فهل سأل كل قائد وكل زعيم للعرب نفسه : من سيخلفنى بعد موتى ؟ وهل هذا الذى سيخلفنى هو قادر على تحمل الأمانة وصيانتها ؟

وماذا يمكن أن نسمى الزعيم أو القائد ، الذى يكون جوابه لنفسه : لا أحد . . . لا أحد على الإطلاق . . .

إن الزعيم أو القائد يستطيع أن يفعل الكثير لأمته فى مجال بناء الرجال .

وبناء الرجال هو بناء المستقبل وضمانه . . .

فماذا فعلنا من أجل ذلك ؟ .

إن القائد أو الزعيم يؤثر غاية التأثير على أبناء شعبه فى مزاياه وسلوكه الشخصى .

والقائد أو الزعيم المزيف الذى يحارب العناصر القوية المؤمنة فى بلاده ويستأثر بالإمّعات وأشباه الرجال والمنافقين والهتّافة ، يؤثر على شعبه أثراً فى غاية الخطورة ، إذ تسرى هذه الخصلة إلى المسؤولين بالتسلسل فيفعلون فعله ويقتفون أثره .

إن الإمعة لا يختار غير الإمعة ، والمنافق لا يختار غير المنافق ، والأحمق لا يختار غير الأحمق ، وأشباه الرجال لا يختارون غير أشباه الرجال ...

فأين مستقبل إذا كان المسؤولون من هذه السلالة البائرة ؟!

مرة ثانية ... إن الحكم الصالح يحتاج إلى الرجال الصالحين .

والقضاء على إسرائيل يحتاج إلى الرجال الصالحين .

والزعيم الحق أو القائد الحق ، هو الذي يتصيد هؤلاء الرجال ويستقطبهم حوله قوة له وسنداً :

وأرجو أن يصل هذا الكلام إلى أسماع المسؤولين كباراً وصغاراً ، فالناس يقولون مثله علناً أو همساً ...

وأنا أضعه صريحاً أمام القادة والزعماء .

إن الناس يعرفون كل شيء ، فلا يظن زعيم أو قائد أنه يغش أحداً بشيء .

إنه لا يغش غير نفسه ، ولا يغش غير مصلحة أمته العليا ...

وويل لمن يتهاون في مصلحة أمته العليا .

والخلاصة

— ٦ —

من المؤكد أن هناك أسباباً كثيرة للدولة العربية تؤدى بها فى طريق معركة الثأر إلى النصر .

من هذه الأسباب : الحكم الصالح .

والآراء حول أسلوب الحكم الصالح مختلفة . ولكنها جميعها تتفق فى أن الحكم الصالح هو الذى يحقق الرفاه لأكبر عدد ممكن من أفراد الشعب .

والحكم الصالح لا ينزل من السماء ، بل يحتاج إلى عناصر قوية أمينة مخلصة واعية للنهوض به ، فيقتضى الإفادة من هؤلاء .

ومن هذه الأسباب ، التصنيع ، ورفع المستوى الزراعى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى ، وهذا يتطلّب التخطيط السليم والعمل الدائب المثمر المفيد .

العمال لهم مكانتهم على أن يعملوا وينتجوا ، وهم فى هذه الحالة موضع رعاية وتقدير واحترام الشعب والدولة .

أما ألاّ يعمل العامل ، مكتفياً بالهتاف والتصفيق والتجوّل بالمسيرات ، فإنه لا يفيد نفسه ولا يفيد الاقتصاد القومى ، وهو فى مثل هذه الحالة لا يمكن أن يرعاه أو يقدّرة أو يحترمه أحد .

وما يقال عن العامل يقال عن الفلاح ، ويقال عن الموظف وعن التلميذ والجندى والضابط ... الخ .

إنه لا يمكن أن تفلح دولة ، عاملها لا يعمل ، وفلاحها لا يزرع ، وتلميذها لا يقرأ ، ومعلمها لا يدرّس ، وموظفها لا يشتغل ، وجنديها لا يتدرب وضابطها لا يدرِّب . . . الخ .

إن العامل إذا لم يعمل فى مهنته ، انهارت الصناعة ، وأدى الأمر إلى استيراد حتى الإبرة والخيط من الخارج .

والفلاح إذا لم يزرع ، انهارت الزراعة ، وأدى الأمر إلى استيراد حتى البصل من الخارج فى بلد زراعى عظيم مثل العراق .

والتلميذ إذا لم يقرأ دروسه ، انهار مستوى التعليم ، فارتفع معدل الرسوب فى الامتحانات ، وطالب التلاميذ الزحف من صف إلى صف بدون امتحان [١] .

والمعلم إذا لم يُدرِّس ، أصبح التلاميذ جهلاء ، وأدى ذلك إلى تردِّى المستوى العلمى والثقافى فى البلاد .

كل مسؤول وغير مسؤول فى الدولة ، يجب أن يعمل ضمن نطاق واجبه وينجزه بكل إخلاص وأمانة وحرص .

والذى لا ينجز واجباته كاملة ، لا يستحق التقدير والاحترام ولا الحياة ، وهو فى حقيقته معول هدم لبلاده رضى أم أبى .

لقد عاش العراق تجربة قاسية فى أيام عبد الكريم قاسم (١٩٥٨-١٩٦٣) ، كان مقياس الإخلاص للبلد لكل فرد من أفرد الشعب ، هو الاشتراك فى المسيرات (الشعبية) ، والهتاف المتواصل ، والتصفيق العالى المستمر ،

---

(١) حدث ذلك فعلا فى العراق أيام قاسم العراق .

وإرسال البرقيات الغزلية للزعيم الأوحد ، فجنى العراق من كل ذلك الخراب والدمار .

لا بد أن يقوم كل فرد من أفراد الشعب بواجبه ، والذى لا يعمل لا يأكل ، وهو كائناً من كان عنصراً فاسداً ، من المصلحة اجتثاثه .

ذلك هو القول الفصل الذى يرتفع إلى مستوى الشعور بالمسؤولية ، أما أن نتملق المشاعر على حساب خراب الوطن ، فليس ذلك إلا خيانة للوطن ، وإذا لم يكن السعى إلى الكسب الشخصى على مصلحة الوطن خيانة ، فكيف تكون الخيانة ؟ .

والمسألة كلها هى أننا نعانى أزمة أخلاقية عارمة .

إن الخلق الكريم له علاقة مباشرة بالإنتاج سواء كان فى مجال الدولة أم فى مجال الاقتصاد أو الصناعة أو الزراعة أو التعليم .

وأريد أن أؤكد هنا هذه الناحية بالذات ، والذين يدّعون أن العمل السياسى لا علاقة له بالسلوك الشخصى الملتزم بالخلق الكريم ، مخطئون كل الخطأ أو مغرَّر بهم أو مخرِّبون .

والتاريخ يثبت ذلك بما لا مجال فيه للشك ، ولو أردنا أن نورد الشواهد من التاريخ عن رجال كانوا فى قمة الوطنية ، ولكنهم كانوا يعانون من نقص أخلاقى فى ناحية من نواحى حياتهم ، فاستغل العدو هذه الناحية بشتى الطرق والأساليب ، واستطاع أن يجعل من ذلك الوطنى عميلا .

إن هناك أسباباً كثيرة للدولة العربية تؤدى بها فى طريق معركة الثأر إلى النصر كما ذكرنا ، ولكننا أوردنا الأسباب التى لها صلة مباشرة قوية بتحرير فلسطين .

إن تقوية الجيش واجب وطنى وهدف حيوى ، إذ لا دولة محترمة بدون جيش قوى ، ولا حقوقاً تسترد بدون جيش قوى .

بل لا أمن ولا اطمئنان فى داخل الدولة بدون جيش قوى .

إن السياسة الداخلية والخارجية للدولة ، إذا لم يكن وراءها جيش قوى تكون عرضة للهزّات ، وقد كانت مكانة بعض الدول ضعيفة قبل أن تصبح دولا ذرية ، فلما أصبحت كذلك ارتفعت مكانتها وأصبح صوتها يفرض نفسه على الأسماع .

إن مسؤولية تقوية الجيش فى القطر العربى ، تقع على الدولة وعلى الشعب أيضا ، فلا جيش قوى بدون تعاون الشعب والدولة .

وبدون جيش قوى ، لا أمل باسترداد حقوق العرب فى أرض فلسطين .

والوحدة الوطنية هى الأساس للوحدة الشاملة ، فلا بدّ من الحرص على مقوِّماتها ، والعمل على ترصينها ، والسهر على تقويتها ، وقطع دابر كل من يعمل على تقويضها أو إلحاق الضرر بها .

إن الذين يعملون على إحياء التفرقة القومية أو الدينية أو المذهبية فى الوطن الواحد . لا يستحقون شرف المواطنة ، لأنهم يعملون ما عمله الاستعمار فى بلادهم من قبل ، ولأنهم يحققون للاستعمار أهدافه فى بلادهم اليوم .

وهؤلاء يجب أن يعرفهم الشعب ، حتى لا يُخدع بهم مرة أخرى .

والتعاون بين الحكومة والشعب ، يؤدى إلى تحقيق أهداف البلاد من أقصر طريق .

والتعاون يسهّل على الدولة مهمتها ، ويخفف عن كاهلها كثيرا من الأعباء .

والالتزام بقضية فلسطين من الحكومة والشعب ، ضرورى للقضاء على إسرائيل . ولا يقتصر الالتزام على الناحية المالية . بل يشمل الالتزام قضايا التنسيق الاقتصادى والسياسى والثقافى فى البلاد العربية .

إن المقرّرات مهما تكن معقولة واقعية عملية ، لا تفيد إذا لم تنفذ نصاً وروحاً ، وإلا فإنها حبر على ورق لا تساوى ثمن ذلك الحبر والورق .

ومرة ثانية ، إن قضية فلسطين يجب أن تكون فوق التناقضات العربية وقد يكون هناك اختلافات كثيرة ، ولكن القضية التى لا تحتمل الاختلاف هى قضية فلسطين .

وأخشى ما يخشاه العرب فى كل مكان ، أن تؤدى اختلافات الدول العربية إلى ضياع قضية فلسطين .

لقد حدث ذلك فعلا عام ١٩٤٨ ، وعرف العالم ماذا كانت النتيجة .

فهل يأخذ العرب درسهم اليوم ؟ .

الخاتمة

هذه هى خلاصة المحاضرات التى ألقيت فى معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربيـة فى الفترة ما بين ١٢ / ٢ / ١٩٦٧ لغاية ٢٦ / ٢ / ١٩٦٧ .

وهى مختصر كتابى : طريق النصر فى معركة الثأر ، يفيد تلاميذ المعهد لاجتياز الامتحان ولـكنها لن تعوضهم عن ما جاء فى كتاب : طريق النصر من تفاصيل .

والله أسأل أن يفيد بهذا الـكتاب ويجعله خالصاً لوجهه الـكريم .

المصـــادر

ابن الأثير (أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى الملقب بعز الدين) .

١ — أُسد الغابة فى معرفة الصحابة — طهران — ١٣٣٧ هـ .

٢ — الكامل فى التاريخ — القاهرة — ١٣٠٣ هـ .

ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على الكنانى العسقلانى المعروف بابن حجر) .

٣ — الإصابة فى تمييز الصحابة — القاهرة — ١٣٢٥ هـ .

ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر) .

٤ — الاستيعاب فى معرفة الأصحاب — القاهرة .

ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى) .

٥ — البداية والنهاية فى التاريخ — القاهرة .

٦ — تفسير ابن كثير — القاهرة — ١٣٤٧ هـ .

٧ — فضائل القرآن — القاهرة — ١٣٤٧ .

ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى) .

٨ — السيرة النبوية — القاهرة — ١٣٥٦ هـ .

أبو الفدا (اسماعيل بن على عماد الدين صاحب حماة) .

٩ — المختصر من أخبار البشر — القاهرة — ١٣٢٥ هـ .

أبو يوسف (الإمام أبو يوسف قاضى القضاة) .

١٠ — الخراج — القاهرة — ١٣٤٦ هـ .

البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى) .

١١ — فتوح البلدان — القاهرة — ١٩٥٩ م .

الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى) .

١٢ — شذرات الذهب فى أخبار مَن ذهب — القاهرة — ١٣٥٠ هـ .

الذّهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذّهبى) .

١٣ — تاريخ الإسلام — القاهرة — ١٣٦٨ هـ .

١٤ — دول الإسلام — حيدر آباد الدكن .

١٥ — العبر — تحقيق فؤاد سيد — الكويت — ١٩٦١ م .

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى) .

١٦ — تاريخ الأمم والملوك — القاهرة — ١٣٥٨ هـ .

ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى البغدادى).

١٧ — المشترك وضعاً والمفترق صقعاً — ليدن — ١٨٤٦ م .

١٨ — معجم البلدان — القاهرة — ١٣٢٣ هـ .

اليعقوبى (أحمد بن يعقوب) .

١٩ — كتاب البلدان — ليدن — ١٨٩٢ م .

المراجع

١ — بيهم (محمد جميل بيهم) عالم حر جديد فى آسيا وإفريقيا والوطن العربى - بيروت - ١٩٦٤ م .

٢ — التل (عبد الله التل) - خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية - القاهرة - ١٩٦٤ م .

٣ — التونسى (محمد خليفة التونسى) - الخطر اليهودى (بروتوكولات حكماء صهيون) - بيروت - الطبعة الرابعة .

٤ — توينبي (آرنولد توينبي) - محاضرات ترجمها الدكتور فؤاد زكريا - القاهرة - ١٩٦٦ م .

٥ — حامد اسماعيل سيد أحمد - الاستعمار والصهيونية فى آسيا وإفريقيا - القاهرة - ١٩٦٣ م .

٦ — حسن مصطفى - إسرائيل والقنبلة الذرية - بيروت - ١٩٦٣ م .

٧ — دروزة (محمد عزة دروزة) - تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم - القاهرة - سلسلة اخترنا لك رقم (٨٥) .

٨ — فرّوخ (الدكتور عمر فروخ والدكتور مصطفى الخالدى) - التبشير والاستعمار - بيروت - ١٩٦٤ - الطبعة الثالثة .

٩ — محمد فؤاد عبد الباقى - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - القاهرة - ١٣٧٨ هـ

١٠ — مديرية التدريب العسكرى فى العراق :

(أ) إسرائيل قاعدة عدوانية - بغداد - ١٩٦٥ م .

(ب) الصهيونية وربيبتها إسرائيل - بغداد - ١٩٦٥ م .

١١ — ليتنتال (الفريد ليتنتال) - ثمن إسرائيل - بيروت - ١٩٥٦ م .

١٢ — نقولا الدر - هكذا ضاعت وهكذا تعود - بيروت - ١٩٦٤ م .

١٣ — مصادر شتى من الصحف والمجلات والنشرات الرسمية والإذاعات العالمية .

١٤ — تقارير رسمية .

المراجع الأجنبية

1 - Bilby, Kenneth : New star in the Middle East. (Naw York 1951)

2 - Churchill, Winston : Great Contempo-raries (London, 1941) .

3 - Churchill, Winston : The Gran Alliance (London , 1950) .

4 - R. Crossman, Richard : Palestine Mission (London, 1947) .

5 - Eden, Anthnony : The memoirs (London, 1960) .

6 - Glubb, John Bagot : A Soldier With The Arabs . (London, 1957) .

7 - Hull, Cordell : The memoir of Cordell Hull (New york, 1948) .

8 - Kirk, George : The middle East in The War. (London, 1952)

9 - Lenczowski, George : Oil and state in the Middle East. (New york, 1960

10 - Lilientnal, Alfred : What Prise Israel (Chicago, 1953).

11 - Longrigg, Stephen Hemsley : Oil in The Middle East. (London, 1956).

12 - Nutting, Anthony : I Saw For My Self (London, 1958).

13 - Philby, H. St. John B. : Forty years in The Wilderness (London, 1957).

14 - Strachey, John : The End of Empire (New york, 1960).

15 - Toynbee, Arnold : A Study of History (London, 1955).

16 - Truman, Harry : Years of Trial And Hope (London, 1965).

الفهرس